

"ابن زكي" وخطبته القدسيّة/ تحقيق ودراسة

د. عبدالجليل عبدالمهدي

الجامعة الأردنية

حياته:

وهو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبدالعزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم^(١) بن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشيّ، الأموي، العثماني، الدمشقي، الشافعي، الملقب محيي الدين، المعروف بابن زكي الدين^(٢).

يذكر أبو شامة المقدسي أنه لم يرفع أحد نسب ابن زكي الدين، أو نسب واحد من أسرته، لـ"يتصل بأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه"^(٣). وكانت ذريته تدّعي الاتصال بعثمان، في نسبها. وهو مجرد ادعاء كما يبين أبو شامة، إذ نجده يقول: "كما تدعيه ذريته في زماننا"^(٤)، أي في زمان أبي شامة المقدسي، المتوفى سنة

(١) جاء في الفتح القدسي، وإتحاف الأخصا أنه: محمد. بدلاً من القاسم.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٢٢٩/٤، وانظر: الفتح القدسي/ ١٣٩، الروضتين ١٠٨/٢، ١٠٩، ١١٠، الذيل على الروضتين/٣١، مفرج الكروب ١٣٣/٣، زبدة الحلب ٧١/٣، العبر ١٧٣/٣، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/٢١، ٣٥٩، مضمار الحقائق/ ١٤٣، ١٤٤، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦، عيون التواريخ ٣٩٦/٢٠، تنمة المختصر ١٤٨/٢، التكملة لوفيات النقلة ٨/٣، الوافي بالوفيات ١٦٩/٤، عقد الجمان للعيني ٢٦/٢٦، حودث ٥٩٧هـ، البداية والنهاية ٣٣-٣٢/١٣، ٢٥٧، النجوم الزاهرة ١٢٦/٦، ١٢٦، ١٨١، الدارس ٢١٩/١، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٦٧، ٣٦٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ١٨٥/٢، ١٨٦، ٣٠٢، ٣٨٧، قضاة دمشق ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، إتحاف الأخصا ١٣٩/١، نزهة خاطر/ ١٠٣، شذرات الذهب ٣٧٧/٤.

(٣، ٤) الذيل على الروضتين/ ٣١.

٦٦٥هـ^(١). ويذكر أنه "لو كان ذلك الاتصال صحيحاً، لما خفي على الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر، ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده، وأمه، وأخواله"، فقد كان يحيى بن علي بن عبدالعزيز جد الحافظ أبي القاسم ابن عساكر لأمه. وقد ترجم له في تاريخه، ولم يزد على القرشي. ولو كان أمويًا عثمانياً كما يزعمون، لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجده وخاليه محمد وسلطان، كما يقول أبو شامة^(٢).

ويذكر السبكي في حديث عن ابن الزكي ونسبه بعد وصفه بالعثماني، قوله: "على ما يذكرون"^(٣). وهذا مما قد يشكله في اتصال نسب ابن الزكي بعثمان، رضي الله عنه.

ويشيد عدد من الشعراء بابن الزكي في نسبه. ومنهم الشاعر الدمشقي فتيان الشاغوري، فهو يشيد بآل الزكي، وينسبهم القرشي، كما يبدو في قوله^(٤):

من دوحَةٍ قُرْشِيَّةٍ أُمويَّةٍ في سُرَّةِ البطحاء ذاتِ عِرَاسِ
وقوله^(٥):

يا ابنِ عليِّ القُرْشِيِّ يا محم د استمع ما قلتُ غيرَ مُنتَحِلِ



ولد ابن الزكي سنة ٥٥٠هـ، في دمشق^(١)، وهو من أسرة مشهورة في الشام. وهي بيت قضاء، فزكي الدين يحيى بن علي بن عبدالعزيز القرشي، جد أبيه تولى

(١) انظر: نفسه/ ١١١.

(٢) انظر: الذيل على الروضتين/ ٣١، سير أعلام النبلاء ٣٥٩/٢١. قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٤٤، ٤٥.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦.

(٤) ديوانه/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٥) نفسه/ ٣٧٠، ٣٧١.

قضاء الشام، وكان أول من ولي القضاء من بيت آل الزكي^(٢)، وجده ولي القضاء فيها^(٣)، ثم ولي أبوه القضاء، وكان قاضي القضاة فيها، ثم استعفى من القضاء فأعفي^(٤). وولي محيي الدين نفسه قضاء دمشق في شهر ربيع الأول سنة ٥٨٨هـ، وكان قاضي قضاة الشام فيها^(٥). ثم ولي ولداه: زكي الدين أبو العباس الطاهر^(٦)، وأبو الفضل يحيى^(٧)، القضاء فيها.

وكان كل منهما رئيساً في القضاء، معروفاً فيه^(٨). يقول ابن كثير في حديث عن ابن الزكي، أبي المعالي القرشي: "كل منهما كان قاضياً، أبوه، وجده، وأبو جده يحيى ابن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم^(٩)، كما تقدم، إنه "من بيت القضاء والحشمة، والأصالة، والعلم" كما يذكر الصفدي^(١٠).



-
- (١) انظر: وفيات الأعيان ٢٣٦/٤، الذيل على الروضتين/ ٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦، الوافي بالوفيات ١٧٠/٤، النجوم الزاهرة ١٨١/٦-١٨٢، قضاة دمشق/ ٥٢، عقد الجمان للعيني ٢٦/٢٦ حوادث ٥٧٩هـ، نزهة خاطر/ ١٠٣، الأئس الجليل ١٣٤/٢.
- (٢) الذيل على الروضتين/ ٣١، الوافي بالوفيات ١٦٩/٤، ١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦، العبر ٢٠٥/٤، قضاة دمشق/ ٤٤، ٥٢، ٥٣.
- (٣) الوافي بالوفيات ١٦٩/٤، ١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٣.
- (٤) وفيات الأعيان ٢٣٦/٤، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦، العبر ٤٤/٣، الوافي ١٦٩/٤، ١٧٠، عقد الجمان للعيني ٢٦/٢٦ حوادث ٥٧٩هـ، قضاة دمشق/ ٤٦، ٥٣.
- (٥) انظر وفيات الأعيان ٢٢٩/٤، ٢٣٠، الذيل على الروضتين/ ٣١، مضمار الحقائق/ ١٤٤-١٤٥، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦، النجوم الزاهرة ١٨١/٦، البداية والنهاية ٣٤٦/١٢، الدارس ٢١٩/١، قضاة دمشق/ ٥٢، ٥٣، ٥٩-٥٥، ٦٣، عقد الجمان للعيني ٢٦/٢٦ حوادث ٥٧٩هـ.
- (٦) انظر: قضاة دمشق/ ٥٥-٥٩.
- (٧) انظر: الدارس ٢٢١/١-٢٢٢.
- (٨) وفيات الأعيان ٢٢٩/٤، البداية والنهاية ٢٥٧/١٣، قضاة دمشق/ ٦٦، ٧١-٧٤، الأئس الجليل ١٣٤/٢.
- (٩) البداية والنهاية ٣٢/١٣، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/٢٦ حوادث ٥٧٩هـ.
- (١٠) الوافي بالوفيات ١٧٠/٤.

كان والده قاضياً كما تقدم، وكان عالماً سمع عليه طالبو العلم. وأخذوا عنه، وقد اشتغل بالحديث، و"كان عالي الطبقة في سماع الحديث. سمع خلقاً كثيراً وحدث بيغداد مدة إقامته، وسمع عليه الناس" كما يقول ابن خلكان^(١). وكان ابنه أبو المعالي واحداً من طالبي العلم الذين سمعوا منه^(٢).

ووالدته أم محمد آمنة بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية، المعروف والدها بأبي البركات بن المران. وهي أخت أسماء أم تاج الأمان أبي الفضل أحمد ابن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (-٥٩٥هـ)^(٣).

وكانت والدته محدثة، ويُذكر أن والدها كان قد استنسخ لها كتاب السنن لأبي داود، كما سمعت بعضه، وسمعت على جدها لأمها، وسمع منها ولدها. ويُذكر أنها وقفت رباطاً لسكنى الفقراء من النساء. وكانت قد حجت مع أختها أسماء في سنة ٥٥٥هـ وهي ابنة خالة الحافظ أبي القاسم بن عساكر الكبرى^(٤).

شيوخه:

تقدم القول أن أبا المعالي أخذ العلم عن والده ووالدته، كما أخذ عن غيرهم من العلماء. وكان قد نشأ في دمشق، في ظل والديه. وقد عُنيا به، وأحاطاه برعايتهما العلمية.

وأخذ ابن الزكي عن العديد من العلماء في العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية والأدبية، وغيرها من أصناف العلوم. ويذكر السبكي، ويتابعه الصفدي، وابن

(١) وفيات الأعيان ٤/٢٣٦، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/حوادث ٥٧٩هـ، نزهة خاطر/ ٩٥، قضاة دمشق/ ٤٦.

(٢) طبقات الشافعي الكبرى ٦/١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

(٣) انظر: تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، الذيل على الروضتين/ ٣١، البداية والنهاية ١٣/٣٢، ٣٣، ١٠١، عقد الجمان للعيني ٢٦/حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ٢/٣٠٢، ٣٦٢، قضاة دمشق/ ٤٤، ٤٥.

(٤) تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، ٤٩، ٥٠، أعلام النساء/ ١٦.

طولون، أنه قرأ المذهب الشافعي على جماعة، وسمع الحديث من والده، كما سمعه من طائفة من العلماء^(١)، منهم: الوزير الفلكي، أبو مظفر سعيد بن سهل النيسابوري الخوارزمي (ت ٥٦٠هـ)^(٢) وعبدالرحمن بن أبي الحسن الداراني^(٣)، والصائغ بن عساكر، هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٤٨٨-٥٦٣هـ)^(٤). والأمير أبو المكارم عبدالواحد بن واحد بن المسلم بن هلال الأزدي (ت ٥٦٥هـ)^(٥).

ويذكر ابن كثير أن ابن الزكي اشتغل على القاضي شرف الدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (٤٩٢-٥٨٥هـ)^(٦).

الاشتغال بالقضاء والتدريس والإشراف على الأوقاف:

تولى ابن الزكي القضاء نيابة واستقلالاً، فقد ذكر أنه تولى القضاء بدمشق نيابة عن الشيخ شرف الدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن عصرون، الآنف ذكره^(٧). وتولى ابن الزكي القضاء في حلب. ويذكر ابن كثير أنه قد ولي قضاء دمشق، ثم أُضيف إليه قضاء حلب^(٨). وكان السلطان صلاح الدين قد عوّل عليه في الحكم والقضاء بحلب، فقضى وحكم. وقد ولاه هذا المنصب عندما فتح السلطان حلب، في سنة ٥٧٩هـ. وقيل إنه لما تم فتحها أنشد ابن الزكي قصيدة،

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، ١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٢.

(٢) انظر: العبر ٣/٣٢، النجوم الزاهرة ٥/٣٧٠، شذرات الذهب ٤/١٨٨.

(٣) انظر: الدارس ١/١٠٤، ١٠٥.

(٤) انظر: العبر ٣/٤١، النجوم الزاهرة ٥/٣٨٠، الدارس ١/٤١٦-٤١٨.

(٥) انظر: العبر ٣/٤٦، مرآة الجنان ٣/٢٧٨.

(٦) البداية والنهاية ١٢/٣٣٣. وانظر: العبر ٣/٩٠، النجوم الزاهرة ٦/١٠٩-١١٠، الدارس ١/٣٩٩-٤٠٤، قضاة دمشق/ ٤٩-٥١.

(٧) الذيل على الروضتين/ ٣١، البداية والنهاية ١٣/٣٣، نزهة خاطر/ ١٠٣، التاريخ المكلل/ ١١١.

(٨) البداية والنهاية ١٣/٣٣.

تنبأ فيها بتحرير بيت المقدس. ويُذكر أن ابن الزكي رتب له نائباً وهو القاضي زين الدين نبأ بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسي^(١). وتحسن الإشارة هنا إلى ما يذكره ابن العديم، فقد ذكر أن صلاح الدين سير إلى القاضي محيي الدين في دمشق، بسفارة القاضي الفاضل، فأحضر إلى حلب، وولي قضاءها^(٢).

ويُذكر أن ابن الزكي كان قد تظاهر بترك بالنيابة، ولازم بيته، وبقي كذلك إلى أن توفي ابن أبي عسرون، فولاه صلاح الدين القضاء، وعظمت رتبته عنده^(٣).

ويذكر أبو شامة المقدسي أن ابن الزكي تولى قضاء دمشق في ربيع الأول من سنة ٥٨٧هـ^(٤)، عوضاً عن القاضي ابن أبي عسرون.

ويذكر الأسدي، في حوادث سنة ٥٨٧هـ، أنه فيها "عزل السلطان أبا حامد ابن أبي عسرون عن قضاء دمشق، وولى محيي الدين بن الزكي^(٥)". ثم أصبح ابن الزكي قاضياً للقضاة، في سنة ٥٨٨هـ، واستمر يتولى منصبه هذا إلى أن توفي سنة ٥٩٨هـ^(٦).

(١) انظر: البرق الشامي (تحقيق د. ششن) / ١٢٦، ١٢٨، (تحقيق د. فالح) / ١٣٢، ١٣٣. مضمار الحقائق / ١٤٤-١٤٥، الروضتين ٤٧/٢، الذيل على الروضتين / ٣١، ٣٣، وفيات الأعيان ٢٣٠/٤، ٢٢٩/٦، زبدة الحلب ٧١/٣، ٧٢، قضاة دمشق / ٥٤، ٥٥، نزهة الخاطر / ١٠٣، ١٠٤.

(٢) زبدة الحلب ٧١/٣.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦، ١٥٨، ١٥٩، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق / ٥٣. نزهة الخاطر / ١٠٤.

(٤) كتاب الروضتين ١٩٤/٢، الذيل على الروضتين / ٣١. وانظر: البداية والنهاية ٣٤٦/١٢، الأئس الجليل ١٣٤/٢، الدارس ٢١٩/١، قضاة دمشق / ٥٢، نزهة الخاطر / ١٠٥.

(٥) قضاة دمشق / ٥١.

(٦) الذيل على الروضتين / ٣٢، البداية والنهاية ٣٤٦/١٢، قضاة دمشق / ٥٢.

* * *

واشتغل ابن الزكي بالتدريس إذ إنه درّس في عدد من المدارس بدمشق، ومنها المدرسة التقوية^(١). وقد نتساءل هنا: متى ابتدأ ابن الزكي التدريس في هذه المدرسة؟ يقول ابن شداد: "أول من ذكر الدروس بها قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي ومن بعده محيي الدين بن زكي الدين، ثم انتزعت من يده"، ووليها غيره، ثم عادت إليه ثانية^(٢).

ويذكر النعيمي أن هذه المدرسة قد وقفت في سنة ٥٧٤هـ. بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٥٨٧هـ)، وهي منسوبة إليه^(٣). وهذا يبين أن ابن الزكي قد ابتدأ التدريس بها بعد سنة ٥٧٤هـ.

وقد تقدم قول ابن شداد أن أول من درّس بها هو قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي، غير أن النعيمي يذكر أنه لعل أول من درّس فيها أبو المظفر بن عساكر، عبدالله بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله (٥٤٩-٥٩١هـ). ويستشهد النعيمي بما قاله السبكي والأسدي، إذا قالوا إنه قد درّس بالتقوية، ولم يقولوا إنه أول من درّس بها^(٤).

ولعل هذا يزيل التناقض بين ما يذهب إليه ابن شداد، وما يذهب إليه النعيمي، علماً بأن قول النعيمي غير راجح بدليل استخدامه لفظة "لعل" في كلامه.

(١) انظر: الدارس ٢١٦/١-٢٢٥.

(٢) الأعلام الخطيرة - دمشق/ ٢٣٥، الدارس ٢٢٠/١.

(٣) انظر: الروضتين ١٩٤/٢، ١٩٥، العبر ٩٤/٣، البداية والنهاية ٣٤٦/١٢-٣٤٧، الدارس ٢١٦/١-٢٢٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١٢٨/٧، الدارس ٢٢١/١ (ورد في الدارس خطأ أن أبا المظفر بن عساكر توفي سنة

٥٧١هـ. الدارس ٢٢١/١).

ودرس القاضي ابن الزكي في المدرسة العزيزية^(١) في دمشق، ويذكر ابن شداد أنه "أول من درس بها"، وكان ذلك في سنة ٥٩٢هـ. ويذكر الذهبي، وابن كثير أن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين قد أمر القاضي محيي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية، المنسوبة إليه، وكانت داراً للأمير عز الدين أسامة، ففعل^(٢).

عني القاضي ابن الزكي بتدريس التفسير، والفقه، وغيرهما من العلوم. ويشير أبو شامة المقدسي إلى أنه كان يدرس في مدرسته بالكلاسة^(٣) درساً عاماً في التفسير^(٤). ومن كتب التفسير التي عني ابن الزكي بها تفسير ابن برّجان أبي الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي (ت ٥٣٦هـ)^(٥)، فقد ذكر أنه اطلع عليه، وأخذ منه. ومن ذلك ما أخذه حول التنبؤ بتحرير بيت المقدس، وقد ضمن ذلك في قصيدة لها قالها في فتح حلب سنة ٥٧٩هـ، يقول مخاطباً السلطان صلاح الدين:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب^(٦)

فكان كما قال. وقد قيل لابن الزكي: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن برّجان في قوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد

(١) انظر: الدارس ١/٣٨٢-٣٩٨.

(٢) الأعلام الخطيرة - دمشق/ ٢٣٩، العبر ٣/١٠٥، البداية والنهاية ١٣/١٢، الدارس ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) انظر: الدارس ١/٤٤٧-٤٥١.

(٤) الذيل على الروضتين/ ٣٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٥) وفيات الأعيان ٤/٢٣٦، ٢٣٧.

(٦) يعارض ابن الزكي أبا تمام في قصيدته التي أنشأها في موقعه عمورية "السيف أصدق أنباء من الكتب..."، وأورد العيني البيت منسوباً إلى القاضي فخر الدين بن المولى، كما أورده منسوباً إلى ابن سناء الملك في قصيدته: "بدولة الترك عزت ملة العرب..."، ولم يرد في ديوان ابن سناء الملك. ثم أورده منسوباً إلى ابن الزكي. (انظر: عقد الجمان - ج: ٢٥، ٢٦ حوادث ٥٧٩هـ. ديوان ابن سناء الملك - تحقيق د. محمد عبدالحق/ ٩-٢٢، تحقيق محمد نصر ٢/٤-٤، وفيات الأعيان ٤/٢٢٩، الأدب في العصر الأيوبي/ ٢٥٧.

غلبهم سيغلبون في بضع سنين»^(١). ويعقب ابن خلكان على ذلك بقوله: "ولما وقفت أنا على هذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن بركان حتى وجدته على هذه الصورة"^(٢). ويوصف هذا التفسير بأنه "تفسير كبير في مجلدات، ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور بين أهل هذا الشأن. وقد استنبطوا من رموزاته أموراً، فأخبروا بها قبل الوقوع"^(٣). وجاء "أكثر كلامه فيه على طرق أرباب الأحوال والمقامات"^(٤). لقد أثبت هذا كله كما ورد في المصادر، مع الاعتقاد أن بني البشر لا يستطيعون التنبؤ بالغيب.

ويذكر أبو شامة أن ابن الزكي كان يحرض على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح^(٥). وكان يدعو إلى حفظها. وكان هو نفسه يحفظها، ويحفظها أولاده^(٦).

ويبدو أن عناية ابن الزكي كانت منصبة على العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية والأدبية، ولكنه كان يقف موقفاً سلبياً من الاشتغال بالمنطق، والجدل، وكان ينهى عن الاشتغال بهما ويكتبهما. وقد بلغ موقفه هذا منهما أنه قد قطع كتباً في هذين

(١) الروم الآيات ١-٣.

(٢) وفيات الأعيان ٢٢٩/٤، ٢٣٣٠، وانظر: سنا البرق الشامي (تحقيق د. ششن) // ٢٠٣، (تحقيق د. النبراوي) // ٢٢٦، مرآة الزمان ١٥٣/١٤، الكامل ٩٧/١١، المختصر ٦٦/٣، تنمة المختصر ١٤١/٢، سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٢١، مرآة الجنان ٣٧٦/٣-٣٧٧، السلوك. ج ١/٨١، تاريخ الخلفاء/ ٤١٨، الدارس ٢٣٠/١، ٢٣١، نزهة الخاطر/ ١٠٤.

(٣) كشف الظنون ٦٩/١-٧٠.

(٤) وفيات الأعيان ٢٣٧/٤.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٦/١.

(٦) الذيل على الروضتين/ ٣٢٣، وانظر: البداية والنهاية ٣٣/١٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

العلمين، أمام الحضور في مدرسته بالكلاسة. وقد كان يذكر الدرس العام للتفسير^(١). وهو موقف سلبي كان يحسن ألا يكون.

* * *

وكان القاضي ابن الزكي "يتولى نظر الجامع الأموي بنفسه". ويُذكر أنه كان بيده "الأوقاف التي للجامع وغيره". وقد استمر مشرفاً على تلك الأوقاف إلى أن عُزل عنها في جمادى الأولى سنة وفاته، وهي سنة ٥٩٨هـ، وكان ذلك قبل وفاته بشهور^(٢).

تلاميذه:

تلقى العديد من طالبي المعرفة العلم على القاضي الخطيب ابن الزكي، وسمعوا منه، ورووا عنه، ويذكر السبكي أنه قد حَدَّثَ، وسمع منه طالبو العلم، وروى عنه العديدون، ومنهم:

الشهاب القوسي، إسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن (٥٧٤-٦٥٣هـ)^(٣)، والمجد بن عساكر^(٤)، وجماعة آخرون. كما أجاز الكثير من طالبي العلم الذين سمعوا منه. ومن حَدَّثوا عنه بالإجازة أحمد بن أبي الخير^(٥).

منزلته:

(١) الذيل على الروضتين / ٣٢، الوافي بالوفيات ١٧٠/٤، البداية والنهاية ٣٣/١٣، قضاة دمشق / ٥٣، نزهة خاطر / ١٠٥.

(٢) انظر: الذيل على الروضتين / ٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ٨٥/٦، البداية والنهاية ٣٣/١٣، قضاة دمشق / ٥٣.

(٣) انظر: الذيل على الروضتين / ١٨٩، العبر ٢٧٠/٣، البداية والنهاية ١٨٦/١٣-١٨٧، الدارس ٨٥/١، ٩٧، ٤٣٨-٤٤٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٥٨/٦، قضاة دمشق / ٥٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٥٨/٦.

كان ابن الزكي يتبوأ مكانة مرموقة، إذ كانت له عند السلطان صلاح الدين "المنزلة العالية، والمكانة المكيئة"^(١). وقد كان كذلك في العلم والقضاء، ويوصف بأنه كان ذا عقل ورزانة، وورع، وديانة"^(٢)، وبأنه كان كامل السؤدد"^(٣).

وتنبين تلك المنزلة من مشاركته في المجالس العلمية التي كان السلطان يشارك فيها، والمكان الذي يجلس فيه عندما تعقد تلك المجالس. ومن ذلك مجلس علم يعقده القاضي جمال الدين المصري، يونس بن بدران (ت ٦٢٣هـ)^(٤)، وحضر عند السلطان المعظم عيسى بن الملك العادل، وشارك فيه الأعيان والأكابر من أمثال شيخ الحنفية جمال الدين الحصري، محمد بن أحمد ابن عبد السيد البخاري (٥٤٦-٦٣٦هـ)^(٥)، والشيخ سيف الدين الأمدي، علي بن محمد (٥٥٠-٦٣١هـ)^(٦)، ومحبي الدين بن الزكي، وفخر الدين بن عساكر، عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله (٥٥٠-٦٢٠هـ)^(٧)، وتقي الدين بن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (٥٧٧-٦٤٣هـ)^(٨)، وغيرهم^(٩).

(١) وفيات الأعيان ٤/٢٢٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٩، الأئس الجليل ٢/١٣٤.

(٢) التاريخ المنصوري/ ٢٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٤) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٤٨، العبر ٣/١٩٢، البداية والنهاية ١٣/١١٤-١١٥.

(٥) انظر: العبر ٣/٢٢٨-٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/١٥٢-١٥٣، النجوم الزاهرة ٦/٣١٥، الدارس ١/٣٦٢.

(٦) انظر: الذيل على الروضتين/ ١١٦، العبر ٣/٢١٠، البداية والنهاية ١٣/١٤٠-١٤١.

(٧) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٣٦-١٣٩، العبر ٣/١٨١-١٨٢، البداية والنهاية ١٣/١٠١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٥-٢٠٩.

(٨) انظر: العبر ٣/٢٤٦-٢٤٧، البداية والنهاية ١٣/١٦٨-١٦٩، الأئس الجليل ٢/١٠٤، الدارس ١/٢٠، ٢١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٩-٢١١.

(٩) الدارس ١/٣٦١، ٣٦٢.

ونتبين هذه المنزلة من إشادة الكثيرين بابن الزكي. ومن ذلك إشادة القاضي الفاضل به في رسالة كتبها إليه، إذ نراه يشيد به في معارفه، وفضائله، ويخاطبه في إحدى رسائله التي كتبها إليه فيقول: "كان كتابي تقدم إلى المجلس السامي"، ثم يدعو له بنفاذ الأمر، وعلو القدر، وأسعد الحظ، وأطول العمر، كما يدعو أن تكلاه عين العناية الريانية في دنياه ودينه، وأن تعصمه من النوائب، ويعود ليشيد به في ثباته، ويقينه، وفيض يمينه، وفي أعماله للدنيا والآخرة، وهي أعمال مقبولة كما يصفها^(١).

وقد قيلت أشعار تشيد بابن الزكي، ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه نقل شعراً لأبي الفضل مؤيد الدين محمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمن الحارثي المهندس الطبيب^(٢)، من خطه في مقاله في رؤية الهلال، ألفها للقاضي محيي الدين بن زكي الدين^(٣)، ويقول فيها يمدحه^(٣):

والنَّعْتُ ما لم تكُ الأفعالُ تَعَضُّدُهُ	اسمٌ على صورة خُطَّتْ من الصُّورِ
وما الحقيقُ به لفظٌ يطابُقه الـ	معنى كنجِلِ الفُضاةِ الصَّيِّدِ من مُضَرِ
فالدينُ والمُلْكُ والإسلامُ قاطبةً	برأيه في أمانٍ من يد الغَيْرِ
كم سَنٌ سُنَّةٌ خيرٍ في ولايته	وقام الله فيها غَيْرَ معتذِرِ
يرجو بذاك نعيمًا لا نفاذ له	جوار ملكٍ عزيزٍ جل مقتدرِ

ويمدحه الشاعر فتيان الشاغوري (٥٣٠-٦١٥هـ)^(٤) في ثلاث من قصائده، ويشيد به فيها، كما يشيد بآله فيقول^(٥):

(١) نهاية الأرب ١٢/٨، ١٤، ١٥.
(٢) انظر: عيون الأبناء في طبقات الأطباء / ٦٦٩-٦٧١.
(٣) نفسه / ٦٦٩، ٦٧٠. وانظر: الدارس ٢/٣٨٧-٣٨٨.
(٤) انظر: خريدة القصر، قسم شعراء الشام ١/٢٤٧-٢٥٩. وفيات الأعيان ٤/٢٤-٢٦، ديوانه (المقدمة).
(٥) ديوانه / ٢٣١، ٢٣٢.

والجدُّ مدحُ الطاهر القاضي زك
يا ابن الألى شهدَ الزمانُ بأنهمُ
ما للأمر إذا شكا من كلمها
ذاللتُم بعلومكم، وخالومكم
وأطاع أمركم الزمانُ وقد رمى
وبلغتم بالزأي ما لم يستطع
حسدت دمشق على مقامكم بها
سي الدين والدنيا أبي العباس
بعد الخلائف فيه خيرُ الناسِ
شوسُ الملوكِ سواكمُ من آسِ
إذ رُضتُموها كلَّ ذاتِ شماسِ
حُسادكم بالزغم والإتعاسِ
إدراكه بالألام أسدُ حماسِ
بغدادُ وهي حمى بني العباسِ

ويركز الشاعر الشاغوري، في إشادته بابن لزكي، على الإشادة بأدبه وبيانه،
ومعرفته بالعلوم الشرعية، فيقول^(١):

أنت الذي بفعاله ومقاله
إن ينثر الدرّ النفيس بنائه
ببيانه وبنانه سحران من
طبّ بأحكام الشريعة فارس
في حكمه أنسى ذكا ابن إياس
ينظمه بالأقلام في القزطاس
لفظٍ وخطِّ باهر الجلاس
في حومتني نصّ وحسن قياس

ويعتبر الشاعر نفسه وممدوحه بزهير بن أبي سلمى، وهريم بن سنان، ويشيد
به وبابنه، ويقر بأنعمهما عليه، ويهنئهما بالعام الجديد^(٢).

ويمدحه في قصيدة أخرى، وقد مضى رسولا إلى حلب، ويشيد به علما،
ومناظرة، وجدلا، وكتابة، فيقول^(٣):

(١) ديوانه/ ٢٣٢.

(٢) انظر: ديوانه/ ٢٣٣، الوافي بالوفيات ١٧٠/٤.

(٣) ديوانه/ ٣٧٠، ٣٧١.

حَبْرٌ لَدَيْهِ مَنْ وَرَاءَ النُّهْرِ فِي الدِّ
يَضْرِبُ فِي كُلِّ الْعُلُومِ بِالْيَدِ الدِّ
وَكُتُبُهُ الْكُتَائِبُ الشُّهُبُ إِذَا
عِبَارَةُ الْفَاضِلِ فِي كِتَابِهِ
أَغْرَزُ مِنْ بَحْرِ خِضَمِّ عِلْمِهِ
جدال يلقى البحرَ بالماءِ الوَشَلُ
بيضاءٍ لا سوءَ بها ولا شَلُّ
أنشأها مُبْتَدِئاً أو مُحْتَفِلُ
ترمي سطور ابن هلال بالخجلِ
وجِلْمُهُ أَرْزَنُ مِنْ كُلِّ جَبَلِ

ثم يصور عودته إلى دمشق، ونجاحه في وفادته، كما يبدو في قوله^(١):

قَدُومُهُ سَرَّ دِمَشْقَ بَعْدَ مَا
فَالْخَيْرُ سَاعَ مَعَهُ حَيْثُ سَعَى
يَا حَلْبُ الْبِيضَاءِ قَدْ وَاثَاكَ مِنْ
ذَاكَ الْقَاضِي الَّذِي أَقْلَامُهُ
ذُو مَحْتَدٍ زَاكٍ وَمَجْدٍ بَاذِخِ
سَاءَ وَجْوهَ أَهْلِهَا حِينَ رَحَلُ
مُصَاحِباً وَنَازِلُ أَيَّنَ نَزَلُ
مُحَمَّدُ فِي دَهْرِنَا خَيْرُ الرُّسُلِ
بِهَا الْأَقَالِيمُ تُسَاسُ وَالذُّوْلُ
وَمُنْصَبٍ يَغْلُو كَمَا تَغْلُو الْقُلُلُ

وفي قصيدة ثالثة يشيد به الشاغوري، بمجده، وعلياه، ونعيمه، وبؤسه، وإغائته ذوي الحاجات، ثم يشيد به في رعايته الحركة الأدبية، وتشجيعه الأدب والأدباء^(٢).

لقد قام ابن الزكي بدور بارز، في المجالات الدينية، والأدبية والسياسية، والاجتماعية، وغيرها. ومن ذلك أنه مضى رسولاً إلى حلب كما تقدم. ولما نزل

(١) ديوانه/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) ديوانه/ ٥٧٤.

الفرنج على تبنين، في سنة ٥٩٤هـ، أنفذه الملك العادل رسولاً إلى الملك العزيز بمصر، مستصرخاً، فأرسل العزيز العساكر، وقدم بنفسه، فرحل الفرنج خائبين^(١). وفي المضمار المذهبي، وقف ابن الزكي ضد الحنابلة^(٢). وكانت علاقته سلبية مع الإسماعيليين^(٣).

بينه وبين القاضي الفاضل:

يذكر الصفدي أن مكاتبات القاضي الفاضل إلى ابن الزكي، تقع في مجلدة كبيرة^(٤). ولم يصل إلينا من تلك المكاتبات إلا أجزاء من عدد من الرسائل التي كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. ومن تلك الرسائل رسالة كتبها إليه، من مصر، في سنة ٥٩٣هـ، يتحدث فيها عن معضلة من المعضلات العادية التي طرقت الناس في مصر وهم نيام، وقد كانت معضلة رهيبة جعلت الناس يظنون أن ساعة الميعاد قد طرقت، وكان ذلك في "الثلاث الأول من ليلة الجمعة"، في الثامن عشر من جمادى الآخرة، من السنة الآنف ذكرها. ويصف الفاضل تلك المعضلة العادية بأنها "عارض فيه ظلمات متكاتفة، وبروق خاطفة، ورياح عاصفة". ويصور تلك الرياح العاصفة، والبروق المتوالي من جهة المقطم، "وكأن جهنم قد سال منها واد، وعدا منها عاد، وزاد عصف الريح على أن انطفأت سرج النجوم، ومزقت أدم السماء". وكان الناس لا حول لهم ولا قوة، وكانوا كما قال الله

(١) خطفه البارق (عن الروضتين) ٢/٢٣٣، الذيل على الروضتين/١٣.

(٢) انظر: الذيل على الروضتين/٤٦، ٤٧، البداية النهاية ١٣/٢٠، ٢١، ٣٣، ٣٩، الدارس ٢/٢٥٦.

(٣) يُذكر أنه حدث لابن الزكي قضية معهم بسبب قتل شخص منهم يعرف بالفافا. ولذلك كان يخاف على نفسه، فلم يكن يخرج إلا لصلاة الجمعة من باب سر إلى الجامع الأموي، من داره التي كانت بباب البريد. انظر: الذيل على الروضتين/٣٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، الوافي بالوفيات ١٤/١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٩/٦، قضاة دمشق/٥٤.

(٤) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾^(١)، ولا عاصم لهم إلا الاستغفار والاستغاثة، وكانوا معتصمين بالمساجد الجامعة.

ويعلل الكاتب ما وقع بالناس بأنهم "لا يستغربون العذاب لأنهم على موجباته مصرون، وفي وقت وقوع واقعاته باستحقاقه مقرون. وقد استمرت تلك الليلة مدلهمة حتى الثلث الأخير، إلى أن أذن الله لها بالركود، فأخذ الناس يتبادلون التهاني، إذ رأوا وكأنهم قد بُعثوا بعد النفخة، وأفاقوا بعد الصيحة.

وهكذا يخاطب القاضي الفاضل ابن الزكي في أمر مصيبة عامة نزلت بالمسلمين في مصر، وهي مسألة تهمة كليهما، بل تهمة كل المسلمين. ويبين القاضي الفاضل بأنه لم يصف إلا ما وقع فعلاً، كما يبدو في قوله مخاطباً ابن الزكي: "ولا يحسب المجلس أنني أرسلت القلم محرراً، والقول مجزفاً، فالأمر أعظم، ولكن الله سلم". وعلى الناس أن يتخذوا من ذلك كله العظة والعبرة^(٢).

وفي الحديث عن منزلة ابن الزكي، تقدم الحديث عن رسالة أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي، أشاد فيها به. ويذكر الفاضل فيها أن رسالة وردت إليه من ابن الزكي^(٣)، ولكن تلك الرسالة لم تصل إلينا للأسف. وفي رسالة القاضي الفاضل تلك، يصور العلاقة بينهما بأنها كانت علاقة وطيدة، كما يبدو في قوله: ".. فإنك تُسكن بها قلباً أنت ساكنه، وتسرب بها وجهاً أنت على النوى معاينه"^(٤).

ومما يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بينهما، ما ورد في رسالة أخرى للفاضل كتبها إلى ابن الزكي، يقسم فيها أنه يرغب في الاجتماع به رغبة قوية، فيجتمع سلك

(١) البقرة آية ١٩.

(٢) كتاب الروضتين ٢/٢٣٢.

(٣) انظر: نهاية الأرب ٨/١٢.

(٤) نفسه ٨/١٢، ١٣.

الشمّل، ويتصل جديد الحبل، كما يقول. ويتحدث في رسالته هذه عن أمر يهم المسلمين، ويتمثل في واقعة من وقائع صلاح الدين الجهادية، وهي نوبة بيروت. يشيد بابن الزكي في تنفيذه للقضايا، وإحسانه في تنفيذها، كما يقول^(١).

وكتب إليه رسالة إخوانية يتشوق فيها إليه. وفيها يشيد به في فضائله، ومكارمه، ومعاليه، ومحامده، ويصف أشواقه إليه، ويتمنى جواباً منه "يشفي الجوى، وينفي ما أسارنه النوى، ويريح القلب، ويزيح الكرب"^(٢).

وردت رسائل أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. وهي تعبر عن مكانته، وتشيد به، وتصور العلاقة بينه وبين القاضي الفاضل. ويشير الفاضل في إحداها إلى وصول رسالة من ابن الزكي، ويصورها عذباً فراتاً سائغاً، ملأت قلبه سروراً. ويشير في رسالة أخرى إلى توالي كتب ابن الزكي إليه. ويصورها قد أقرت ناظره، وأورثته زهواً وخيلاء^(٣).

توفي القاضي محيي الدين بن الزكي، في السابع من شعبان سنة ٥٩٨هـ، في دمشق. ودفن بتريته بسفح جبل قاسيون^(٤).

(١) نهاية الأرب ١٦/٨.

(٢) رسائل عن الحرب والسلام/ ١٥٠، ١٥١.

(٣) انظر إنشاءات القاضي الفاضل/ ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٤) يذكر أن محيي الدين بن الزكي اختل في آخر عمره ويُذكر أنه بينما كان في داره يوماً، وعنده جماعة من أكابر دمشق، ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلة عند بعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدته غلام صاحب البغلة، فخرج على وجهه إلى الميدان، فلحقه الجماعة، وأمر له بضرب خيمة، وبات الناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات. ويلخص بعضهم ذلك بقوله: إنه في سنة ٥٩٧هـ، حدث خلط لابن الزكي، شوش عقله، وغيره. وكان خرج راكباً، فوقع عن دابته، فمات، رحمه الله.

انظر: الذيل على الروضتين/ ٣١، ٣٢، التاريخ المنصوري/ ٢٤، مرآة الزمان ١٣٤/١٤، وفيات الأعيان ٢٣٦/٤، سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٢١، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٩/٦، مفرج الكرب ١٣٤/٣، الوافي بالوفيات ١٧١/٤، تاريخ ابن الفرات ٢٠٢/٤، البداية والنهاية ٣٣/١٣، الأندلس الجليل ١٣٥/٢، قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٥٥. التاج المكلل/ ١١١.

الخطبة القدسية:

نالَت الخطابة عناية كبيرة في فترة الحروب الصليبية^(١)، فقد كان العصر عَصراً احتلت فيه ديار الإسلام. وشارك الخطباء والكتّاب، والشعراء، في الحث على تحريرها. وكان تحرير تلك الديار الإسلامية، وعلى رأسها بيت المقدس، هاجساً ألهم الخطباء الكثير من الخطب. ومن ذلك خطب أربع أنشأها القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي، المعروف بابن الزكي، ولكنه لم تصل إلينا إلا واحدة منها. وكانت تلك الخطب الأربع قد أُلقيت في جمع أربع متوالية، وذلك بعد تحرير بيت المقدس، في السابع والعشرين من رجب، سنة ٥٨٣هـ^(٢). وكانت الخطبة التي وصلت إلينا أول خطبة تلقى في المسجد الأقصى بعد تحريره، في أول جمعة تلت يوم الفتح. وكان يوم الفتح يوم جمعة، ولكن المسلمين لم يستطيعوا إقامة صلاة الجمعة بالأقصى، في يوم الفتح ذاك، فأقاموها فيه في الجمعة التالية، أي في الرابع من شعبان، من السنة ذاتها^(٣).

شَرَّفَ السلطان صلاح الدين القاضي ابن الزكي باختياره ليكون أول خطيب يخطب بالمسجد الأقصى بعد تحريره. وقد فعل السلطان ذلك لأن ابن الزكي كان قد تحدث عن التنبؤ بفتح بيت المقدس، كما قيل^(٤).

(١) الأدب في العصر الأيوبي/ ١٧٨، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية/ ٣٧٩، ٣٨٢، أدب الحروب الصليبية/ ٢٠٣، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي/ ٥٤، عصر الدول والإمارات - مصر والشام/ ٨١٥. نصوص عن أدب الحروب الصليبية/ ٧٨.

(٢) كتاب الروضتين ١١٠/٢.

(٣) نفسه ١٠٧/٢، ١٠٨.

(٤) انظر: البرق الشامي ١٠٩/٥ (ط استانبول)، ١١٩/٥ (ط عمان)، سنا البرق الشامي (ط مصر) ٢٢٦، الروضتين ٤٥/٢، ٤٦، ١١٠، الكامل ٤٩٧/١١، وفيات الأعيان ٢٢٩/٤-٢٣٠، المختصر ٦٦/٣، تنمة المختصر ١٤١/٢، الوافي بالوفيات ١٧٠/٤، ١٧١، مرآة الجنان ٣٧٦/٣-٣٧٧، عقد الجمان للعيني ٢٥/٢ حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ٢٣٠/١، ٢٣١، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية/ ٦٥-٦٧.

شهد ابن الزكي فتح بيت المقدس مع صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ، وكان له يومئذ ثلاث وثلاثون سنة، وكان أول من خطب به. ويُذكر أنه صعد المنبر، وهو لابس خلعة سوداء. وكان أول بدايته قوله تعالى: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾^(١). ثم أورد تحميدات من القرآن الكريم^(٢).

يذكر العماد الأصفهاني أنه عندما حُررت مدينة بيت المقدس، كان هناك "فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكل منهم سبق بخطبته الخطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً". ولكن السلطان عين ابن الزكي للصلاة والخطبة^(٣)، كما تقدم. وكانت سعادته كبيرة باختياره ليلقي الخطبة الأولى في المسجد الأقصى بعد تحريره من الاحتلال. وبذلك حاز الفضيلة على فضلاء الغرب والشرق^(٤).

ويذهب ابن خلكان إلى مثل ما ذهب إليه العماد، إذ يقول إنه قد تناول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمة السلطان صلاح الدين. ويضيف: إن كل واحد منهم جهز خطبة بليغة، طمعاً في أن يكون هو الذي يحظى بشرف إلقائها في تلك المناسبة، غير أن المرسوم خرج إلى القاضي ابن الزكي ليكون أول من يخطب هناك^(٥).

ومما تقدم نتبين أن الخطباء كانوا قد أعدوا خطباً لإلقائها بالأقصى، بل إن كل واحد منهم قد أعد خطبة ليحظى بشرف إلقائها هناك. فهل كان ابن الزكي واحداً ممن أعدوا خطبهم؟ إن قول كل من العماد الأصفهاني، وابن خلكان يوحى

(١) الأنعام آية ٤٥.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٥٨/٦، الوافي بالوفيات ١٧٠/٤، قضاة دمشق/ ٧٤.

(٣) الفتح القدسي/ ١٣٨، ١٣٩، كتاب الروضتين ١٠٨/٢، ١٠٩.

(٤) الفتح القدسي/ ١٣٩، كتاب الروضتين ١٠٩/٢، وانظر: وفيات الأعيان ٢٣٠/٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢٣٠/٤.

بأنه كان قد أعد خطبته. غير أننا نجد الصفدي يذكر أن ابن الزكي لم يكن قد "استعد للخطبة، بل خرج إليه، وقد أذن المؤذنون على السدة، وسأله السلطان أن يخطب، ويصلي بالناس، وهذا مقام صعب"^(١).

وقد تحسن الإشارة في هذا المجال إلى أن أبا القاسم الكلاعي يذكر أنه "يُستحب للخطيب أن يرتاد الخطبة قبل أن يقوم لها، ويؤلفها قبل أن يخطب بها"^(٢).

استهل ابن الزكي الخطيب خطبته بآيات بينات في التحميد، وهي تحميدات تتناسب المقام الذي كان يتحدث فيه، وهو التغني بالنصر وفتح بيت المقدس بعد أن بقي إحدى وتسعين سنة بأيدي الغزاة المحتلين. والتحميد واضح في الآيات التي اقتبسها الخطيب مستهلاً بها خطبته.

ويذكر ابن خلكان أن ابن الزكي "لما رقي المنبر، استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال: "فقطّع دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين"^(٣). ثم قرأ أول سورة الأنعام: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور﴾^(٤). ثم قرأ من سورة سبحان: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية^(٥). ثم قرأ أول سورة الكهف: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾^(٦)، الآيات الثلاث. ثم قرأ من سورة النمل: ﴿وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾^(٧). ثم قرأ من سورة سبأ: ﴿الحمد لله الذي له ما في

(١) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، وانظر: قضاة دمشق/ ٥٤.

(٢) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٨.

(٣) الأنعام آية رقم ٤٥.

(٤) الأنعام آية رقم ١.

(٥) الإسراء آية رقم ١١١.

(٦) الكهف آية رقم ١.

(٧) النمل آية رقم ٥٩.

السموات﴾ الآية^(١). ثم قرأ من سورة فاطر: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾،
الآيات^(٢). ويضيف ابن خلكان: وكان قصد ابن الزكي "أن يذكر جميع تحميدات
القرآن الكريم"^(٣).

اختار ابن الزكي هذه التحميدات من القرآن الكريم، بل اقتبسها منه، لأنها
تعبر عما أحس به نحو ما أحرزه المسلمون من النصر والتحرير. وهي لا تعبر
عما أحس به الخطيب فحسب، بل تعبر عما أحس به المسلمون إزاء النصر
وتحرير بيت المقدس. وهم يرون أن عليهم التوجه إلى الله شاكرين لما منحهم من
نصره. ويؤكد هذا ما يذكره الخطيب في خطبته، فهو يصور الفتح نعمة من الله،
وعلى المسلمين أن يتوجهوا بالشكر إلى ربهم على آلائه التي أنعم بها عليهم^(٤).

ولم يكتف الخطيب بآيات التحميد كالتالي استهل بها خطبته، فقد توجه إلى
الله بالتحميد في مواضع أخرى من الخطبة، إذ نراه بعد أن انتهى من ذكر الآيات
التي اقتبسها، حمد الله على نصره، وإعزازه الإسلام والمسلمين بتحرير الأرض
وتخليصها من الغزاة المحتلين، وإظهار دين الإسلام على سائر الأديان، وتطهير
البيت المقدس من الشرك وآثامه. ويسترسل ابن الزكي في التحميد في مواضع
أخرى من خطبته، "لإعزازه لأولياته، ونصره لأنصاره"^(٥).

* * *

ويذكر ابن الزكي الخلفاء الراشدين في خطبته، ويتحدث عن بعض فضائلهم،
ومن ذلك أن أبا بكر كان أول من آمن بالرسول ودعوته، وأن عمر بن الخطاب

(١) سبأ آية رقم ١.

(٢) فاطر آية رقم ١.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ٢٣٠/٤، ٢٣١، مرآة الزمان ٣/٣٧٥، إتخاف الأخصا (ط) ١/٢٦٣.

(٤) انظر: الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان ٢٣١/٤، شفاء القلوب ١٣٠-١٣٢.

(٥) انظر: الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان ٢٣١/٤، شفاء القلوب ١٣١-١٣٢.

كان أول من فتح بيت المقدس، ورفع فيه شعار الإسلام عالياً، وأن عثمان بن عفان جمع القرآن، وأن علي بن أبي طالب زلزل الشرك، وكسّر الأوثان^(١).

وفي هذا المقام، تجدر الإشارة إلى حديث ابن الزكي عن الفتح القدسي العمري، وهو حديث له دلالة هنا، ولهذا نجد الخطيب يربط بين هذا الفتح القدسي العمري، والفتح القدسي الصلاحي. وهو بهذا يستلهم التاريخ وأحداثه العظام، ويربط بين المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

* * *

يصور الخطيب، في خطبته هذه، معالم قدسية مدينة بيت المقدس وفضائلها، ومن تلك المعالم كونها القبلة الأولى، ومسرى الرسول ومعراجه، وفيها المكان الذي صلى فيه رسول الله. ولهذا نجد الخطيب يتحدث في مقدمة خطبته عن الإسراء والمعراج، ويقتبس قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ الآية، وينثر ذلك في تضاعيف كلامه، فيقول مشيداً بالرسول: "رافع الشك، وداحض الشرك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السموات العلى"، إلى "سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر، وما طغى"^(٢).

ويفصل الخطيب في حديثه عن قدسية بيت المقدس، كما يبدو واضحاً في موضوع الخطبة، ولا غرو في ذلك، فإن حديثه جاء تغنياً بالفتح القدسي العظيم، وتصويراً للمكانة التي كانت مدينة بيت المقدس تحظى بها في نفوس المسلمين، وهي ما زالت كذلك، إذ نراه يتحدث عن فضائل بيت المقدس فيقول: "فهو موطن

(١) انظر: الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان ٢٣١/٤، شفاء القلوب/ ١٣٢.

(٢) النجم الآيات ١٤-١٦.

أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام. وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومقر الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل تنزل الأمر والنهي. وهو في أرض المحشر، وصعيد المنشر. وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين. وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالملائكة المقربين ... وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه^(١).

ومن الواضح أن ابن الزكي يربط بين المقدسات الإسلامية في بيت المقدس، والمقدسات الإسلامية في الحجاز، بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام. وهو رباط أرضي وسماوي.

ويستمر ابن الزكي في التركيز على بيت المقدس وفضائله في خطبته القدسية هذه. ويبين أنه هو "البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في خطابه" في سورة الإسراء، كما يبين أنه "هو البيت الذي عظمته الملوك، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة" من الله عز وجل^(٢).

يتحدث ابن الزكي، عن المحور الرئيسي في خطبته، وهو الفتح القدسي، فيصوره فضيلة شريفة لا يجاري المسلمين المجاهدين فيها مجارٍ، ولا يباريهم في شرفها مبارٍ^(٣). ويركز الخطيب على الحدث العظيم، ولم يركز على الفاتح في خطبته الأولى، بينما ركز عليه في خطبته الثانية.

ويعظم ابن الزكي الفتح فيصفه بأنه "الفتح الجليل، والمنح الجزيل، والفتح المبين". ويصور آثار الفتح في نفسه، وفي نفوس المسلمين، ويصور أحاسيسه ومشاعره إزاء الحدث، كما يصور أحاسيس المسلمين ومشاعرهم إزاءه. وهي آثار

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٢٣٢، شفاء القلوب ١٣٢، ١٣٣.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٢٣٣، شفاء القلوب ١٣٤.

(٣) كتاب الروضتين ٢/١١٠، ١١١، وفيات الأعيان ٢٣٢، شفاء القلوب ١٣٣.

شتى، في مجالات شتى، دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وفكرية. وقد شاركت السماء الأرض في فرحتها بالفتح، بل شارك الملائكة في السماء المسلمين في الأرض، في فرحتهم وابتهاجهم. وما أجمل تصويره فرحة السماء، إذ يصورها وقد تفتحت أبواباً، ويصور الملائكة يتبادلون التهاني في السماء، كما كان أهل الأرض من المسلمين يتبادلونها في الأرض، وقد عم نور الفتح الأرض وأهلها. ويبدو هذا كله واضحاً في قول ابن الزكي: "فهذا هو الفتح الذي فُتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواه وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة المقربون. وقرَّ به عيناً الأنبياء والمرسلون"، إلى أن يقول: "فيوشك أن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني بين أهل الغبراء"^(١).

ويصور الخطيب الفتح نعمة أنعم بها على جيوش المسلمين، وعليهم أن يقدروها حق قدرها، وأن يتوجهوا إلى مانحهم النصر بالشكر على ما خصهم به من نعمة الفتح^(٢).

ويهنئ الخطيب جند الله المجاهدين، بل يهنئ المسلمين عامة، بالفتح القدسي، وهو الفتح الذي رفع مكانتهم عنده، وذكروا به في عليائه، فقد استطاعوا أن يعيدوا شعار الإسلام عالياً في بيت المقدس، وأن يخفضوا شعار الشرك فيه. ولهذا تشكرهم الملائكة في السموات، وتستغفر لهم، وتصلي عليهم، كما يبدو في قوله: "قليلهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده، وشكر لكم الملائكة المنزلون" على جهادهم، وتحريرهم ديار الإسلام^(٣).

ويخاطب ابن الزكي المسلمين المجاهدين الفاتحين بقوله: "أيها الناس". ويبشروهم برضوان الله بعد استرداد مدينة بيت المقدس. وردها إلى ما كانت عليه، وتطهيرها، ورفع أعلام الايمان فيها. وذلك لما يسره الله على أيديهم "من استرداد

(١، ٢، ٣) كتاب الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان/ ٢٣٣، ٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥.

هذه الضالة من الأمة الضالة، وردّها على مقر الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام^(١).

ويشيد ابن الزكي بالمجاهدين الذين حرروا بيت المقدس إشادة بالغة، فيصورهم جيشاً قام بمثل ما قام به المسلمون في صدر الإسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين. وفي هذا تعظيم للنصر والفتح، كما يبدو التعظيم جلياً في ربطه الحديث عن الفتح بالمعجزات النبوية، وربطه بالمعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام مثل معركة بدر، ومعركة القادسية، ومعركة اليرموك. يضاف إلى هذا ربطه هذا الفتح بالفتح القدسي في عهد عمر بن الخطاب، كما تقدم. ويرى الخطيب الصلة وثيقة بين ما قام به أبطال المسلمين الذين حرروا بيت المقدس في عهد صلاح الدين في العصر الأيوبي، وما قام به أبطال المسلمين في صدر الإسلام، ومن أمثال خالد بن الوليد وغيره من أبطال المسلمين الخالدين. ويربط بين صراع المسلمين والفرنج في هذه الفترة، وصراع المسلمين واليهود في صدر الإسلام. ويبدو ذلك كله واضحاً في قول خطيبنا ابن الزكي مخاطباً المجاهدين: "قطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية. جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية"^(٢).

ويشكر الخطيب المجاهدين الذين بذلوا نفوسهم في سبيل الله، ويبشرهم بالجنة لقاء صنيعهم، كما يبدو في قوله: "فجازاكم الله عن نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم من مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقرتكم به إليه من مهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء"^(٣).

(١) كتاب الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان/ ٢٣٢.

(٢) كتاب الروضتين ١١٠/٢، ١١١، وفيات الأعيان ٢٣٣/٤.

(٣) كتاب الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان ٢٣٣/٤، شفاء القلوب/ ١٣٣.

وَيَصُورُ ابْنَ الزُّكِيِّ الْمَجَاهِدِينَ بِأَنَّهُمْ قَدْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ، وَاصْطَفَاهُمْ لِيَخْصِمَهُمْ بِالْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ^(١).

* * *

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَحْرِيرَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَغَيْرِهِ مِنْ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَصْبَحُوا جُنْدًا لِلَّهِ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا جُنُودًا لِأَهْوَائِهِمْ، كَمَا تَقْدُمُ. وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا تَحْقِيقَ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ وَحَدُوا صَفُوفَهُمْ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ الْمُحْتَلِّ، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، وَتَخْلِيصِ دِيَارِ الْإِسْلَامِ مِنْ بَرَاثِنِ احْتِلَالِهِ. وَقَدْ تَمَّتْ وَحْدَةُ الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ بَيْنَ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَالْجَزِيرَةِ، فِي عَهْدِ نُورِ الدِّينِ زَنْكِيِّ أَوَّلًا، ثُمَّ فِي عَهْدِ صَلاَحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ ثَانِيًا. وَاسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ، بَعْدَ ذَلِكَ، تَحْقِيقَ آمَالِهِمْ وَأَمَانِيهِمْ، كُلِّ ذَلِكَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ شَأْنَهُ. وَيَعْبُرُ ابْنُ الزُّكِيِّ عَنِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "فَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَمْضَى عِزَّتَكُمْ لَمَّا قَعَدَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ فَضَلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَوَفَّقَكُمْ لَمَّا خَذَلَ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ. وَجَمَعَ لِأَجْلِهِ كَلِمَتَكُمْ وَكَانَتْ شَتَى^(٢)" وَهَذَا قَوْلٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَحْدَةِ وَأَثَارِهَا، وَيَدْعُو إِلَيْهَا، لِأَنَّهَا الطَّرِيقُ إِلَى تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ وَالتَّحْرِيرِ. كَمَا يُوَازِنُ فِيهِ بَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ تَفَرُّقٍ فِي الْكَلِمَةِ مِمَّا أَدَّى إِلَى احْتِلَالِ دِيَارِهِمْ، وَمَا أَصْبَحُوا عَلَيْهِ مِنْ وَحْدَةٍ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَخْلِيصِ ضَالَّتِهِمُ الْمُنْشُودَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُعْتَدِيَةِ الضَّالَّةِ، كَمَا يَصِفُهَا الْخَطِيبُ نَفْسَهُ. وَمَا أَدَلَّ تَعْبِيرَهُ "وَأَغْنَاكُمْ بِمَا أَمْضَتْهُ كَانَ وَقَدْ، عَنِ سَوْفِ وَحْتَى"^(٣).

* * *

وَيَتَبَيَّنُ مِنَ النَّظَرِ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ أَنَّ الصَّرَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرَنْجِ الْمُحْتَلِّينَ، لَمْ يَكُنْ صَّرَاعًا عَسْكَرِيًّا فَحَسْبَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ صَّرَاعًا فِي الْعَقِيدَةِ أَيْضًا.

(١) كِتَابُ الرُّوضَتَيْنِ ٢/١١٠، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٤/٢٣٢، شَفَاءُ الْقُلُوبِ/ ١٣٣.

(٢) كِتَابُ الرُّوضَتَيْنِ ٢/١١١، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٤/٢٣٣، شَفَاءُ الْقُلُوبِ/ ١٣٤.

ويبدو هذا الأمر واضحاً من النظر إلى اقتباس الآيات التي تتحدث عن وحدانية الله، وتؤكدّها. ويكفي أن نشير إلى الآية التي اقتبسها: "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً"^(١). ويبدو هذا النوع من الصراع واضحاً في الحديث عن تطهير بيت المقدس من الشرك ومعالمه^(٢).

ويركز الخطيب في مقدمة خطبته على الحديث عن وحدانية الله، فيقتبس سورة الإخلاص عدا آيتها الأولى. ويتحدث عن نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أحدثته من تغيير جذري في حياة الإسلام والمسلمين، يقول: "وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد"^(٣).

ويتحدث الخطيب عن معتقد الفرنج المحتلين، مبيناً أن عيسى عليه السلام، قد "شرفه الله برسالته، وكرّمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته، فقال تعالى: ﴿لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾"^(٤). وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾"^(٥).

كما يتحدث عن تطهير بيت المقدس من الشرك، فهو البيت الذي "أذن الله أن يُرفع، وأن يُذكر فيه اسمه". وقد أميط الشرك عن طريقه، بعد أن امتد رواقه عليها. ورُفعت فيه قواعد التوحيد، بعد القضاء على الشرك وآثامه^(٦). ومن هذا نتبين معالم الصراع بين التوحيد والشرك جلية آنذاك. ويبدو هذا الصراع واضحاً

(١) الإسراء آية ١١١.

(٢) انظر كتاب الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان ٢٣١/٤، ٢٣٢، شفاء القلوب/١٣٠، ١٣١.

(٣) الإخلاص الآيتان ٣، ٤.

(٤) النساء آية ١٧٢.

(٥) المائدة آية ١٧.

وانظر: الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان ٢٣٢/٤، شفاء القلوب/١٣٣.

(٦) انظر كتاب الروضتين ١١٠/٢، وفيات الأعيان ٢٣٢/٤، شفاء القلوب/١٣٢.

في الحديث عن الفتح، إذ يتحدث الخطيب عن شكر المجاهدين لما أهدوه إلى بيت المقدس "من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد"، وما أزالوه "من أذى الشرك والتثليث"^(١).

* * *

ويدعو ابن الزكي الفاتحين المجاهدين إلى المحافظة على ما أنجزوه من نعمة الفتح. ويبين لهم أن ذلك لا يكون إلا بالتمسك بالتقوى، والاعتصام بعروتها، فيقول: ".. فاحفظوا، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم"^(٢).

وعلى الرغم من الفتح العظيم، فإننا نجد الخطيب يحذر المجاهدين من البطر بالنصر، كما يحذر من اتباع الهوى، والوقوع في المعاصي، كما يبدو في قوله: "واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الردى، ورجوع القهقري، والنكول عن العدا"^(٣). ويحذرهم ثانية من الشعور بالبطر، والطغيان، والغرور بالنصر، فإن ذلك سيؤدي إلى التهلكة. ويبين أن النصر من عند الله، كما يبدو في قوله: "وأياكم أن يستزلكم الشيطان، وأن يتداخلكم الطغيان، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلاد، لا والله ما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم"^(٤).

كما يحذرهم من أن يقترفوا كبراً من مناهيه، وأن يأتوا عظيماً من معاصيه، فإذا فعلوا ذلك كانوا "كالتى نقضت غزلها من بعدة قوة أنكاثاً، والذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان، فكان من الغاوين"^(٥).

* * *

(١) انظر كتاب الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان ٢٣٤/٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥.
(٢) (٥، ٤، ٣، ٢) كتاب الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان ٢٣٤/٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

يدعو الخطيب المسلمين إلى الاستمرار في الجهاد، لتحرير ما بقي محتلاً من ديار الإسلام، وللقضاء على الغزاة المحتلين. وذلك واضح في تحذيره من الرجوع القهقري، والتقاعس عن الجهاد، ويسترسل في دعوته تلك، ويصور الاحتلال غصة بل غصصاً في نفوس المسلمين ذهب بعضها بتحرير بيت المقدس وغيره من ديار الإسلام، وبقي بعضها الآخر إلى أن تُحرر بقية البلدان المحتلة من ديار الإسلام. يقول مخاطباً المجاهدين: ". وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغصة. وجاهدوا في الله حق جهاده، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه، إذ جعلكم من خير عباده"^(١).

ويتابع الخطيب الحث على الجهاد، فيشيد به، ويتحدث عن فضائله، ويدعو إلى السير في طريقه للقضاء على العدو، وتخليص سائر ديار الإسلام المحتلة. وبذلك يستنهض هم المسلمين، ويستثير عزائمهم، كما يبدو في قوله: "والجهاد، الجهاد، فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم. انصروا الله ينصركم .. جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله، فقد ناديت الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية"، إلى أن يقول: "واعلموا، رحمكم الله، أن هذه فرصة فانتزهوها، وفريسة فناجزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها عزماتكم وجهزوها"^(٢). وعليهم ألا ترهبهم كثرة الأعداء.

* * *

وفي الخطبة الثانية، يركز ابن الزكي على السلطان المجاهد صلاح الدين، فيدعو له بالبقاء، ويصوره مجاهداً في سبيل الإسلام والمسلمين، مدافعاً عن

(١) كتاب الروضتين ١١١/٢، وفيات الأعيان ٢٣٤/٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) كتاب الروضتين ١١١/٢، ١١٢ وفيات الأعيان ٢٣٥/٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٦.

حرمات الله، فهو سيف الله القاطع، وشهابه اللامع، والمحامي عن دينه، والذاب عن حرمه. وهو بطل المسلمين الذي جمع كلمتهم، ووحد صفوفهم، وقادهم إلى النصر، وقضى على العدو المحتل، وأعاد الإسلام تقام شعائره، بعد أن طهر البيت المقدس من رجس الأعداء وآثامهم. ويبدو ذلك واضحاً في قول ابن الزكي: "اللهم أدم سلطاننا، عبدك الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك". وهو الملك الناصر جامع كلمة الإيمان، صلاح الدين والدنيا، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس^(١).

ويكرر الخطيب الدعاء للسلطان المجاهد، فيدعو له أن تعم دولته البسيطة وأن تكون الملائكة برياته محيطة. ويسترسل في الدعاء فيقول: ". وأحسن عن الدين الحنفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه. اللهم أبق للإسلام مهجته، ووق للإيمان حوزته، وانشر في المغرب والمشرق دعوته"^(٢). وتبدو هذه الدعوات متصلة اتصالاً وثيقاً بموضوع الخطبة.

إن الأوصاف التي يصف الخطيب صلاح الدين بها أوصاف حقيقية، تتطابق مع الحقيقة التاريخية، فقد كان صلاح الدين حقاً، هو الذي جمع كلمة الإسلام، وقضى سنوات طوالاً وهو يوحد أهله، وهو الذي قضى جل سني حياته مجاهداً، فطهر بيت المقدس، وغيره من ديار الإسلام. ويتصل بهذا دعاء الخطيب للسلطان، وهو دعاء يتضمن التمنيات بأن تنتشر دعوته في المغرب، وأن تُفتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، ويدعو الخطيب الله أن يمكن صلاح الدين من القضاء على أعداء الدين جميعاً. وأن يصلح به "أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك وأكنافها"^(٣).

(١) كتاب الروضتين ١١١/٢، ١١٢ وفيات الأعيان ٤/٢٣٥، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٦.
(٢) ٣، ٢، كتاب الروضتين ١١٢/٢، وفيات الأعيان ٤/٢٣٥، ٢٣٦، شفاء القلوب/ ١٣٦، ١٣٧.

ويصور ابن الزكي السلطان المجاهد صلاح الدين محيياً دولة أمير المؤمنين، فقد كان يعلن الولاء للخلافة العباسية. ولما فتح بيت المقدس أرسل الرسائل إلى ديوان الخلافة في بغداد، مبشراً بفتحها.

ويختتم ابن الزكي خطبته هذه بالدعاء إلى أن يثبت الله الملك فيه، وفي عقبه، وفي بني أيوب عامة. ويشيد بالملوك الميامين. ويدعو لهم بالبقاء ليثمدوا عضد صلاح الدين^(١).

السمات الفنية:

يعبر ابن الزكي في خطبته هذه عن تجربة استمدها من واقع عاشه، فقد شهد فتح بيت المقدس مع صلاح الدين، كما تقدم. وهو بذلك ينقل إلينا تجربته التي عاشها، وهي تجربة يعبر فيها عما يحس به في نفسه، وقد كان صادقاً في تصويره الحديث المتمثل في الفتح القدسي العظيم، كان صادقاً صدقاً موضوعياً، وتاريخياً، كما كان صادقاً صدقاً فنياً في التعبير عن إحساساته ومشاعره إزاء الحديث العظيم، وفي التعبير عن إحساسات المسلمين ومشاعرهم إزاءه.

تقوم الخطبة على بناء فني يربط أجزاءها وأفكارها، في المقدمة، والعرض (الموضوع)، والخاتمة. وقد جاءت مقدمة هذه الخطبة ممهدة لأفكارها، معبرة عنها، متلائمة مع الحدث المتمثل في الفتح القدسي.

جرى الخطيب ابن الزكي في خطبته على افتتاحها بالتحميد، وهو ما كان الأدباء والخطباء يعدونه بداية لا بد منها. يذكر أبو القاسم الكلاعي، في القرن السادس الهجري، أن الخطبة "هي أول ما استفتح بالتحميد". وأنهم كانوا يستفتحون بحمد الله سبحانه في الخطب"، في الاستنفاذ، في كل أمر له بال، وفي غير ذلك مما ذكره، وليس له صلة بما نتحدث عنه هنا. ويذهب الكلاعي إلى أن الخطب

(١) كتاب الروضتين ١١٢/٢، وفيات الأعيان ٢٣٥/٤، ٢٣٦، شفاء القلوب/ ١٣٦، ١٣٧.

عندهم كانت "أؤكد ما اعتمد بالتحميد". وسموا الخطبة التي لا تستهل به "بترء وقطعاء". ويستشهد في هذا المجال بقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: "كل أمر ذي بال لا يُبتدأ فيه بالحمد فهو أبتز". وروي: وهو أقطع^(١).

والكلاعي المعاصر لابن الزكي، ينظر إلى ما قاله الجاحظ من قبل، فقد ذكر الجاحظ أن أهل البيان كانوا يسمون الخطبة التي لم تُبتدأ بالتحميد، وتُستفتح بالتمجيد "البترء"^(٢).

وهكذا استهل ابن الزكي خطبته بالتحميد المناسب للمقام الذي تحدث فيه، كما تقدم. وبهذا جاءت خطبته متوافقة مع ما يذهب إليه النقاد منذ القديم.

ولم يقتصر ابن الزكي على الإطالة في التحميد، في مقدمة الخطبة، وفي موضوعها، فقد زينها كذلك بالتشهد، والحديث عن وحدانية الله، والصلاة على رسوله. وهذا مما يستحسن في الخطب. يذكر الجاحظ أن الخطبة التي لم تزين بالصلاة على الرسول توصف بالشوواء. وتوصف الخطبة التي لا تشهد فيها بأنها كاليد الجذماء^(٣). وبهذا نهج ابن الزكي في خطبته النهج الذي نهجه خطباء من قبله.

لقد اختيرت الآيات التي اقتبسها الخطيب في أول خطبته اختياراً مناسباً، إذ كانت ذات معان متوائمة مع موضوع الخطبة، لتكون استهلالاً لها، ومدخلاً سهلاً إلى النفوس لما يريد الخطيب أن يصبه في الآذان^(٤).

(١) أحكام صيغة الكلام/ ٥٩، ١٦٦، ١٦٧.

(٢) البيان والتبيين ٦/٢، وانظر: ٧٣.

(٣) نفسه ٦/٢.

(٤) البرهان في وجه البيان ١٥٣/٢.

وقد جاءت المقدمة مرتبطة بالموضوع ارتباطاً وثيقاً. ويخاطب ابن الزكي المصلين المجاهدين بقوله: "أيها الناس" ليدخل بعدها في موضوع الخطبة، وهو موضوع عظيم يهتم المسلمين في مختلف ديارهم. وقد فصل القول فيه فيما تقدم. وفيه برزت صورة بيت المقدس، والجهاد، والمجاهدين. وهي محاور عديدة تتفرع من محور رئيسي هو الفتح القدسي. وهذا يدعو إلى القول بوحدة الموضوع في هذه الخطبة، فالحديث عن الجهاد، والمجاهدين والعدو المهزوم، هو حديث عن الفتح ذاته، والآثار الناجمة عنه.

وتضاف إلى وحدة الموضوع هذه، وحدة المشاعر والأحاسيس التي يعبر عنها.

وجاءت خاتمة هذه الخطبة مرتبطة بموضوعها، متناسبة معه، مؤثرة موجزة. وتتضمن دعوة إلى الاستمرار في الجهاد. وهي دعوة مستمدة من القرآن الكريم الذي اقتبس منه آيات مناسبة للمقام، ومستمدة من الواقع الذي يصوره^(١). وكذلك جاءت خاتمة الخطبة الثانية متوائمة مع مضمونها الذي يقوم على تمجيد الفاتح، والإشادة به. ولهذا نجد الخاتمة تتمثل في الدعاء للفاتح، كما يبدو في قوله: "اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام، وتتخذ على مر الشهور والأعوام، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار المتقين، وأجب دعاءه في قوله: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وعلي والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"^(٢).

وإذ يتناول ابن الزكي في خطبته هذا موضوع الفتح والجهاد، فقد كان أسلوبه يتسم بالقوة والجزالة، فالأسلوب يتأثر بالمعاني التي يعرض لها الخطيب.

(١) الأدب في العصر الأيوبي/ ١٧٨.

(٢) انظر: الروضتين ١١١/٢.

يعبر ابن الزكي عن الأفكار والمعاني التي وردت في خطبته بأسلوب يتسم بالوضوح، والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني، والابتعاد عن استخدام الغريب من الألفاظ، واستخدام ألفاظ ومصطلحات إسلامية، إضافة إلى بعض ألفاظ ومصطلحات نصرانية اقتضاها المقام. كما يتسم أسلوبه فيها بالتقريرية والمباشرة.

يشيد العماد الأصفهاني بابن الزكي الخطيب في أسلوبه، إذ نجده يصف أسلوبه بالفصاحة والبلاغة، وأنه أعطى الألفاظ حقها، كما أعطى المعاني حقها. وقد "أدت المعاني الشريفة ألفاظه"، و"هو لنشر المعاني أضمر خطيب له بنشر المعني أضمر طيب" كما يقول^(١). وبمثل ذلك يصفه أبو شامة المقدسي، إذ يذكر أن ابن الزكي أودع خطبته سر بلاغته وفصاحته، فكانت "يد الفصاحة فيها طولى"^(٢). ويصف الصفدي تلك الخطبة بالخطبة البليغة^(٣).

* * *

ويبدو أسلوب ابن الزكي في خطبته متأثراً تأثيراً جلياً بالقرآن الكريم، بالافتباس منه، أو بنثر آيات منه بين تضاعيف خطبته، أو باستلهاهم ما جاء فيه، في حديث عن الفتح القدسي، وفضائل بيت المقدس، والجهاد، والفتاح، وغيرها مما تحدث عنه، وقد جاء ذلك كله ملائماً لما عرض له الخطيب.

ونشير في هذا المجال إلى آيات بينات عديدة اقتبسها الخطيب، واستهل بها خطبته، وقد تقدم ذكر تلك الآيات في التحميد^(٤).

(١) الفتح القدسي / ١٣٩، ١٤٧، كتاب الروضتين ١٠٨/٢، ١٠٩.

(٢) كتاب الروضتين ١١٠/٢.

(٣) الوافي بالوفيات ١٧٠/٤.

(٤) الروضتين ١١٠/٢ (تقدم تخريج الآيات)، وانظر ص ١٨ من هذا البحث.

كما يبدو الخطيب متأثراً بالحديث الشريف، لا سيما في حديثه عن قدسية بيت المقدس وفضائله.

ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا المقام، أن الأدباء والنقاد كانوا يستحسنون أن توشح الخطبة بآيات بينات من القرآن الكريم. يذكر الجاحظ أنهم "كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، أي من القرآن الكريم، فإن ذلك مما يورث البهاء، والوقار، والرقّة، وسلس الموقع"^(١).

ويذهب الكلاعي إلى أن ذلك من "أنجح ما ضمنه المرتجل، وأرجح ما استعان به المحتفل، لأنه الموعظة الحسنة، والحجة البالغة، والحكمة الباهرة، والهادي إلى الرشاد، والمنجي من الضلال"^(٢).

* * *

ولدى النظر في هذه الخطبة نجد أن الخطيب يستلهم في حديثه بعض ما جاء في شعر أبي تمام الذي قاله في تصوير فتح عمورية، ذلك الفتح الذي أحرزه المسلمون بقيادة المعتصم، وفي تلك القصيدة يصور أبو تمام الفتح وآثاره، ويصور الفرحة به، وهي فرحة شارك فيها أهل الأرض، وأهل السماء، كما يبدو في قوله^(٣):

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومن هذا نتبين مدى تأثر الخطيب ابن الزكي بالشاعر أبي تمام، في الألفاظ، والمعاني، والصور، في تضاعيف خطبته.

(١) البيان التبيين ١/١١٨.

(٢) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٩.

(٣) ديوان أبي تمام ١/٤٥، ٤٦.

وتأثر ابن الزكي في خطبته هذه بابن نباتة الخطيب الذي عاش في عهد سيف الدولة، وأنشأ الكثير من خطب الجهاد. يذكر ابن الأثير أن خطب ابن نباتة كانت أحد عكازي ذلك الزمان. وقد كان التأثر بها كبيراً في أسلوبها المسجوع والموشح بالقرآن والحديث والأمثال والحكم وغيرها^(١). غير أن الكثير من خطب ابن نباتة جاءت قصيرة مختصرة^(٢).

يشير العماد إلى ابن نباتة الخطيب، في حديثه عن ابن الزكي، ولكنه يفضل ابن الزكي على ابن نباتة. كما يبدو في قوله: ". وأين ابن نباتة من نباته"^(٣).

* * *

ويتسم أسلوب ابن الزكي في خطبته هذه باستخدام الصنعة اللفظية، وليس ذلك غريباً في القرن السادس الهجري، فقد كانت الصنعة آنذاك ظاهرة تعبر عن ذوق العصر، وقد أصبحت المقياس الذي تقاس به جودة الأعمال الأدبية. ولم تكن الصنعة ظاهرة جديدة في هذا القرن، فقد كانت شائعة منذ القرن الرابع الهجري، كما يبدو واضحاً في رسائل ابن العميد، ومقامات الهمذاني، وفصول أبي العلاء وغاياته، وغيرها.

ومن مظاهر استخدام ابن الزكي الفنون البديعية في خطبته، أنه التزم بالسجع، وذلك واضح في كل أجزاء الخطبة. وقد جاءت سجعاته فيها قصيرة، ذات رنين في الأسماع، بغية التأثير في المستمع.

(١) المثل السائر ٢٧٨/١، الوشي المرقوم/ ٦.

(٢) انظر: ديوان خطب ابن نباتة، أدب الحروب الصليبية/ ٢١٥.

(٣) انظر الروضتين ١٠٩/٢.

يذكر ابن الأثير أن السجع "إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام"، ويرى أن الألفاظ المسجوعة تكون "حلوّة، حارة، طنانة، رنانة، لا غنةً باردة"^(١). ومثل هذا الذي يذهب إليه ابن الأثير هو ما نراه في خطبة ابن الزكي، ومن حيث الاعتدال والتساوي في مقاطع الكلام، ومن حيث أن الألفاظ المسجوعة فيها لم تأت غنة أو باردة. ويمكن القول: إن كل سجعة من السجعات المزدوجة في خطبة ابن الزكي تحمل معنى غير المعنى الذي نجده في السجعة التالية لها. ويتفق هذا النهج مع ما يذهب إليه ابن الأثير، فقد بين أنه يحسن "أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها"^(٢).

ويستخدم ابن الزكي فنوناً بديعية أخرى في خطبته، مثل الطباق والمقابلة والجناس، والتقسيم، وغيرها. وذلك كله واضح من النظرة الأولى في هذه الخطبة.

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام ابن الزكي هذه الفنون البديعية أضفى لونها من الإيقاع الموسيقي على النص، فقد جاءت السجعات فيها كالقوافي، ولا سيما أنها جاءت قوية سريعة متلاحقة. ويقال مثل هذا القول في الجناس والتقسيم.

وقد يحسن في هذا المقام أن يُشار إلى ما يذهب إليه ابن الأثير في موقفه من الخطب النباتية، فقد ذكر أنه قد تصفح تلك الخطب، فوجد أكثر السجع فيها على الأسلوب الذي ينكره. وهو يرى أن الكلام المسجوع يحتاج إلى أربع مسائل، وهي: اختيار مفردات الألفاظ، واختيار التركيب، ومجيء الألفاظ في الكلام المسجوع تابعة للمعنى، دون أن يكون المعنى تابعاً للفظ، ومجيء كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي تدل عليه أختها"^(٣).

(١) المثل السائر ٢٧٥/١، ٢٧٦.

(٢) نفسه ٢٧٨/١.

(٣) المثل السائر ٢٧٨/١، ٢٧٩، وانظر: ٢٧٦، ٢٧٧.

وإذا كان ابن الأثير قد أنكر أسلوب ابن نباتة في السجع، وولعه به، وإكثاره استخدام الترصيع، كما أنكر استخدامه ألفاظاً لا يسوغ استخدامها في النثر، مثل قوله: "أَقْمَطَرٌ وبالها، واشمَخَرَّ نكالها"، مبيناً أن ذلك لا يسوغ في الخطب^(١). فما الرأي فيما يذهب إليها ابن الزكي، في هذا المضمرة؟

اعتمد ابن الزكي السجع في خطبته كما سبق أن بيّنا، ونجد لديه اقتباساً كثيراً، وترصيعاً أحياناً. ولكننا لا نجده يطيل في السجع كما كان يفعل ابن نباتة، إذ تتراوح السجعات في خطبته بين السجعتين، والعشر، بينما نجد السجعات في بعض خطب ابن نباتة تبلغ العشرين^(٢). يضاف إلى هذا أننا نجد الفقرات المسجوعة في خطبة ابن الزكي، أكثر وقعاً في النفس، وأخف على السمع. إن أحسن السجع في نظر ابن الأثير، ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين تقريباً. ومن ذلك ما ورد في خطبة ابن الزكي: ".. المعجزات النبوية، والوقعات البديرة، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية .."^(٣). ومن السجع ما يكون "مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ، وأربعة، وخمسة، وكذلك إلى العشرة. وما زاد على ذلك، فهو من السجع الطويل" كما يقول ابن الأثير^(٤). ويفضل هذا اللون من السجع على السجع الطويل في نظر ابن الأثير مثلاً. ويعلل ذلك بأن هذا الضرب من السجع "أوعر مذهباً، وأبعد متناولاً ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً"^(٥).

(١) نفسه ٢٣٧/١، ٢٣٨.

(٢) انظر : ديوان خطب ابن نباتة، أدب الحروب الصليبية/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) كتاب الروضتين ١١١/٢.

(٤، ٥) المثل السائر ٣٣٦/١.

نص الخطبة

قمت بتحقيق نص هذه الخطبة معتمداً على:

- الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ)،
- وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي (٦٩٧هـ)
- مرآة الجنان لليافعي (٧٦٨هـ)
- شفاء القلوب لأحمد بن إبراهيم الحنبلي (٨٧٦هـ)

واعتمدت على نسخة مخطوطة من "عيون الروضتين" لأبي شامة المقدسي كما اعتمدت على ثلاث نسخ من مخطوطة:

"إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى" لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي، شمس الدين السيوطي (٨٨٠هـ).

والنسخ هي:

- نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - شريط رقم ٧٦.
- نسخة أخرى بالمركز، منسوبة خطأ إلى أحمد بن حجر الهيتمي - شريط رقم ٥٩٧.

- نسخة ثالثة بالمركز، منسوبة خطأ إلى ابن عبدالظاهر - شريط رقم ٤٠.

وقد حُققت نسخة من (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)، حققها د، أحمد رمضان أحمد. ولكن نص الخطبة جاء كثير التصحيف والتحريف (انظر: إتحاف الأخصا ٢٦٣/١-٢٧٠).

* * *

لما^(١) رقي ابن الزكي المنبر استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال^(٢):

"فَقَطِّعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"^(٣).

"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ"^(٤).

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ"^(٥).

"وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ
مِنَ الدُّنْيَا، وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا"^(٦).

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً، قِيماً لِيُنذَرَ بَأْساً شديداً
مِن لَدُنْهِ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، مَا كُنْتُمْ فِيهِ
أَبْداءً، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَةً
تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً"^(٧).

(١) انظر: الروضتين ٢/١١٠-١١٢، عيون الروضتين ٢٤٣-٢٥٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣٠-٢٣٦، مفرج
الكروب ٢/٢١٨-٢٢٧، مرآة الجنان ٣٧٦-٣٧٧، شفاء القلوب ١٣٠-١٣٨، إتحاف الأخصا (ط)/
٢٦٣-٢٧٠، إتحاف الأخصا (خ)، ومنه ثلاث نسخ بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، وهي
نوات الأرقام: ٤٠، ٧٦، ٥٩٧.

(٢) من وفيات الأعيان.

(٣) الأنعام آية ٤٥.

(٤) الفاتحة الآيات ١-٣.

(٥) الأنعام آية ١.

(٦) الإسراء آية ١١١.

(٧) الكهف: الآيات ١-٥.

"قل (١) الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير مما يشركون" (٢).

"الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وهو الرحيم الغفور" (٣).

"الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً" (٤).

ثم شرع في الخطبة فقال: (٥)

"الحمد لله معز الإسلام (٦) بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور (٧) بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين (٨) بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء (٩) على عباده من ظله (١٠)، وأظهر دينه على الدين كله. القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته (١١) فلا يُنازع، والامر بما يشاء (١٢) فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع.

(١) في الوفيات، ومراة الجنان: وقل.

(٢) النمل آية ٥٩. وانظر: مفرج الكرب.

(٣) سبأ: الآيتان ١، ٢. مفرج الكرب، وشفاء القلوب.

(٤) فاطر: الآية ١. وانظر: مفرج الكرب، وشفاء القلوب. ورد في مراة الجنان: وكان قصده أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم. وزاد إتحاف الأخصا: "فخشي من الإطالة، وقال.

(٥) في الروضتين: والخطبة هي.

(٦) في شفاء القلوب: الدين.

(٧) ورد في مراة الجنان بعد (الأمر): جماعة أدبا كثيرا، وانفقوا على فضله ومعرفته. وهو ليس من الخطبة.

(٨) في عيون الروضتين، والوفيات، وإتحاف الأخصا (رقم ٤٠): الكفار.

(٩) في الوفيات ومفرج الكرب، وشفاء القلوب: وافاض.

(١٠) في إتحاف الأخصا (ط): فضله.

(١١) في إتحاف الأخصا (رقم ٤٠): خلقه.

(١٢) في مراة الجنان، وإتحاف الأخصا رقم ٥٩٧: شا.

أَحْمَدُهُ عَلَى إِظْفَارِهِ وَإِظْهَارِهِ، وَإِعْزَازِهِ لِأَوْلِيَائِهِ^(١) وَنَصْرِهِ لِأَنْصَارِهِ، وَتَطْهِيرِ^(٢) بَيْتِهِ^(٣) الْمُقَدَّسِ مِنْ أَدْنَسِ الشَّرْكَ وَأَوْضَارِهِ^(٤)، حَمْدًا مِنْ اسْتَشْعَرَ الْحَمْدَ بَاطِنَ سِرِّهِ، وَظَاهَرَ جِهَارِهِ^(٥).

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ [الوَاحِدُ]^(٦) [الْأَحَدُ] [الْفَرْدُ]^(٧) الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٨). شَهَادَةٌ مِنْ طَهَّرَ^(٩) بِالتَّوْحِيدِ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى بِهِ رَبَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ [سَيِّدِنَا]^(١٠) مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، رَافِعَ^(١١) الشُّكَّ،^(١٢) وَدَافِعَ الشَّرْكَ، وَدَاجِضَ^(١٣) الْإِفْكَ، الَّذِي أُسْرِيَ بَعْدَهُ^(١٤) لِيَأْتِيَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَعَرَجَ بِهِ مِنْهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى^(١٥).

(١) فِي شِفَاءِ الْقُلُوبِ: لِأَوْلِيَائِهِ اللَّهُ.

(٢) فِي مَرَاةِ الْجَنَانِ، وَشِفَاءِ الْقُلُوبِ: وَتَطْهِيرِهِ.

(٣) فِي الْإِتْحَافِ (ط): لِبَيْتِهِ.

(٤) فِي شِفَاءِ الْقُلُوبِ، وَالْإِتْحَافِ (ط): وَأَوْتَارِهِ.

(٥) فِي مَفْرَجِ الْكُرُوبِ: جِهَادِهِ. وَفِي شِفَاءِ الْقُلُوبِ وَالْإِتْحَافِ (ط): أَظْهَارِهِ.

(٦) مِنْ مَفْرَجِ الْكُرُوبِ، وَشِفَاءِ الْقُلُوبِ.

(٧) مِنْ مَفْرَجِ الْكُرُوبِ.

(٨) الْإِخْلَاصُ: الْآيَاتَانِ ٣، ٤.

(٩) فِي مَرَاةِ الْجَنَانِ: أَظْهَرَ.

(١٠) مِنْ شِفَاءِ الْقُلُوبِ.

(١١) فِي شِفَاءِ الْقُلُوبِ: دَافِعَ.

(١٢) رَافِعَ الشُّكَّ "لَيْسَتْ فِي الْمَفْرَجِ، وَلَا فِي الشِّفَاءِ".

(١٣) فِي عَيُونِ الرُّوضَتَيْنِ: وَمَدْحُضِ الشَّرْكَ، وَرَاحِضِ الْإِفْكَ. فِي شِفَاءِ الْقُلُوبِ، وَالْإِتْحَافِ (ط): وَقَامِعَ.

(١٤) فِي عَيُونِ الرُّوضَتَيْنِ، وَالْوَفِيَّاتِ، وَمَرَاةِ الْجَنَانِ، وَالْإِتْحَافِ (ط): بِهِ.

(١٥) النُّجْمُ: الْآيَاتُ: ١٤، ١٥، ١٦. وَانظُرْ: الْإِتْحَافِ (ط) ١/٢٦٤.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَسَلَّمَ] ^(١)، وَعَلَى خَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، السَّابِقِ إِلَى
 الْإِيمَانِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، أَوَّلِ مَنْ رَفَعَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ
 الْمُقَدَّسِ ^(٢) شَعَارَ الصُّلْبَانِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَثْمَانَ [بْنِ عَفَانَ] ^(٣) ذِي النُّورَيْنِ،
 جَامِعِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [مُبِيدِ الْكُفْرِ] ^(٤) وَمُزَلِّزِ
 الشِّرْكِ، وَمُكَسِّرِ الْأَوْثَانِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ^(٥) وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. [وَسَلَّمَ] ^(٦).
 أَيُّهَا ^(٧) النَّاسُ: أَبْشُرُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ ^(٨) الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى، وَالدرَجَةُ الْعُلْيَا،
 لِمَا يَسِرُّهُ ^(٩) اللَّهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ ^(١٠) مِنْ اسْتِرْدَادِ هَذِهِ الضَّالَّةِ، مِنَ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ، وَرَدَّهَا
 إِلَى مَقَرِّهَا مِنَ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ ابْتِدَالِهَا فِي ^(١١) أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَرِيباً مِنْ مِائَةِ عَامٍ،
 وَتَطْهِيرِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَدْنَى اللَّهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَيَذَكَّرَ فِيهِ ^(١٢) اسْمُهُ، وَإِمَاطَةِ الشِّرْكِ عَنْ
 طُرُقِهِ ^(١٣)، بَعْدَ أَنْ امْتَدَّتْ عَلَيْهَا ^(١٤) رِوَاقُهُ، وَاسْتَقَرَّ ^(١٥) فِيهَا رَسْمُهُ، وَرَفَعَ قَوَاعِدَهُ

(١) من الإتحاف.

(٢) من الإتحاف (ط) ١/٢٦٤.

(٣) من مفرج الكرب، ومراة الجنان، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(٤) من شفاء القلوب، والإتحاف.

(٥) في وفيات الأعيان: صحبه.

(٦) من الإتحاف (رقم ٧٦).

(٧) في شفاء القلوب: يا أيُّها.

(٨) ورد في الإتحاف (رقم ٧٦) لفظة (الأكبر) بعد الله.

(٩) في الإتحاف: فاشكروه على ما يسر.

(١٠) في شفاء القلوب: (الله) عليكم.

(١١) في عيون الروضتين: إلى.

(١٢) في الإتحاف: فيها.

(١٣) في شفاء القلوب: طريقه.

(١٤) في شفاء القلوب: عليه.

(١٥) في الروضتين: واستعمر.

وفي الإتحاف: واستمر، وهو تصحيف.

بالتوحيد^(١)، فإنه بُني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد،^(٢) وإنه^(٣) أسس على التقوى^(٤) من خلفه ومن بين يديه. وهو^(٥) موطنُ أبيكم إبراهيم، ومعرّجُ نبيكم محمد عليه السلام^(٦). وقبلتكم التي كنتم تُصلُّون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصدُ^(٧) الأولياء، ومدفن^(٨) الرُّسل، ومهبطُ الوحي، ومنزل^(٩) تنزل^(١٠) الأمر والنهي، وهو أرض المحشر، وصعيد المنشر، وهو في^(١١) الأرض المقدَّسة التي ذكرها الله [تعالى]^(١٢) في كتابه المبين. وهو المسجد [الأقصى]^(١٣) الذي صلى فيه رسولُ الله^(١٤) - صلى الله عليه وسلم - بالملائكة^(١٥) المُقرَّبين، وهو البلد الذي بعث إليه^(١٦) عبده ورسوله وكلمته التي ألَّفها إلى مريم وروحه عيسى الذي شرَّفه الله

-
- (١) في شفاء القلوب: على التوحيد.
(٢) من وفيات الأعيان.
(٣) في عيون الروضتين: وتشيد بنيانه بالتمجيد فإنه، وفي وفيات الأعيان: فإنه.
(٤) في الروضتين: وبالتقوى فإنه أسس على التقوى.
وفي مفرج الكروب: بالتقوى.
(٥) في الروضتين: وعيون الروضتين، ووفيات الأعيان: فهو.
(٦) في عيون الروضتين: عليهما الصلاة والسلام، وفي مفرج الكروب: عليهما.
في مرآة الجنان: عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.
في الإتحاف (ط): صلى الله عليه وسلم.
في الإتحاف (رقم ٧٦): وعليه أفضل الصلاة والتسليم.
(٧) في مرآة الجنان: ومقدس.
في الإتحاف (ط): ومقعد.
(٨) في مفرج الكروب: ومقر.
(٩) في مرآة الجنان، والإتحاف (خ. و. ط): ومدفن.
(١٠) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومرآة الجنان: به ينزل. وفي شفاء القلوب: ينزل فيه.
(١١) في عيون الروضتين: عين.
(١٢) من عيون الروضتين، والإتحاف.
(١٣) من وفيات الأعيان، والإتحاف.
(١٤) في الإتحاف (ط): نبي رب العالمين.
(١٥) في عيون الروضتين: بالأنبياء والمرسلين، وفي الإتحاف (ط): بالنبیین والمرسلين، والملائكة.
(١٦) في شفاء القلوب: منه.

برسالته، وكرمه بنبوته^(١)، ولم يُرْحِزْهُ عن رتبة عبوديته، فقال تعالى: "لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون"^(٢) وقال: "لقد كفر الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم"^(٣). كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً^(٤). "ما اتَّخذ الله من ولدٍ، وما كان معه من إله إذاً لذهب كلُّ إله بما خلقَ، ولعلَّ^(٥) بعضهم على بعض سبحانَ الله عما يصفون. عالم الغيب والشهادة، فتعالى عما يُشْرِكُونَ"^(٦).

وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين، لا تُشَدُّ الرَّحَالُ بعدَ المسجدين إلَّا إليه، ولا تُعْقَدُ^(٧) الخناصيرُ^(٨) بعدَ المواطنين إلَّا عليه^(٩)، ولولا^(١٠) أنكم ممن اختاره الله من عباده، واصطفاه من سُكَّانِ بلاده، لما حَصَّكُم الله بهذه الفضيلة التي^(١١) لا يُجَارِيكُم فيها مُجَارٍ^(١٢)، ولا يُبَارِيكُم في شرفها مُبَارٍ^(١٣)، فطوبى لكم من جيشٍ ظهرتْ على أيديكم المعجزاتُ النبويَّة، والوقعاتُ^(١٤) البدريَّة، والعزماثُ^(١٥)

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومرآة الجنان: "كرمه برسالته، وشرفه بنبوته".

في الإتحاف (نسخة رقم ٥٩٧): أكرمه.

(٢) النساء آية ١٧٢.

ورد الاستشهاد به في الروضتين، وورد بعد الآية في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان: "ولا الملائكة المقربون"، ولم ترد في المصادر الأخرى.

(٣) المائدة الآية رقم ٧٢.

(٤) من وفيات الأعيان، والإتحاف.

(٥) وردت في الإتحاف: ولعلّ.

(٦) المؤمنون آية رقم ٩١.

(ورد الاستشهاد بهذه الآية في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، والإتحاف).

(٧) في الروضتين: تعتقد.

(٨) في الإتحاف (ط): الخناصر.

(علق المحقق في الحاشية، فقال: لعلها الخناصر. وكان عليه أن يصوبها في المتن).

(٩) أثبت في مرآة الجنان إلى هنا، ثم قال: "وهذا نحو من ثلث خطبته، رمت الاقتصار إيثاراً للاختصار.

(١٠) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: فلولا.

(١١) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠): الذي، وهو غير صحيح.

(١٢) في الإتحاف (ط) و(خ) نسخة رقم ٥٩٧: مجاري، وهو غير صحيح.

(١٣) في الإتحاف (ط) و(خ) نسخة رقم ٥٩٧: مباري، وهو غير صحيح.

(١٤) في وفيات الأعيان: والوقعات.

(١٤) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: والفتوحات.

(١٥) في الإتحاف (ط): والضربات.

الصدّيقية، والفتوح^(١) العُمريّة. والجيوشُ العثمانيّة، والفتكاتُ العلويّة، جدّتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات^(٢) اليرموكية، والمنازلاتِ الخيبرية، والهجماتِ^(٣) الخالدية، فَجَزَاكُمْ^(٤) الله عن نبيّه محمد^(٥)، صلى الله عليه وسلّم، أفضلَ الجزاءِ، وشكّرَ لكم ما بَدَلْتُمُوهُ من مُهَجِّكُمْ في مقارعة الأعداء، وتقبَّلَ [منا]^(٦) ومنكم ما تقرُّبُتم به إليه من مهراقِ^(٧) الدّماء، وأثابكم الجنةَ فهي^(٨) دارُ السُّعداء، فاقدروا، رحمكم الله، هذه النعمة حقَّ قدرها، وقوموا لله قانتين بواجب شكرها^(٩)، فله [تعالى]^(١٠) النعمة^(١١) عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السَّماءِ، وتبَلَّجَتْ^(١٢) بأنوار وجوهِ الظُّلَماءِ، وابتهجَ به الملائكةُ المُقَرَّبون، وقرَّ به عيناً الأنبياءُ والمرسلون^(١٣)، فماذا [له]^(١٤) من النعمةِ بأن جعلكم الجيشَ الذي يُفْتَحُ عليه^(١٥) البيتُ المُقدَّسُ في آخرِ الزمانِ، والجندُ الذي تقوم^(١٦) بسيوْفهم

ولكنها وردت في الإتحاف (خ نسخة رقم ٧٦) كما وردت في المتن.

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: والفتوحات.

(٢) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: والملاحم.

(٣) في الإتحاف (ط): والحملات.

(٤) في الروضتين: فجازاكم.

(٥) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: محمد نبيه. وجملة "صلى الله عليه وسلم" ليست في المفرج، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(٦) من مفرج الكروب.

(٧) في الإتحاف (ط): إهراق.

(٨) في شفاء القلوب: وهي.

(٩) في الإتحاف (ط): ذكرها.

(١٠) من وفيات الأعيان، والإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(١١) في عيون الروضتين، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): المنة.

(١٢) في شفاء القلوب: وسلخت، وهو تصحيف.

في الإتحاف (ط): وبلجت.

(١٣) في عيون الروضتين: وقرَّ عيناً به، وفي شفاء القلوب: وقرَّت به أعين الأنبياء والمرسلين. في الإتحاف

(ط): وقرب أعين الأنبياء والمرسلين.

(١٤) من شفاء القلوب.

(١٥) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف (ط): على يديه.

(١٦) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: يقوم.

بعد فترة من النبوة^(١) أعلامُ الإيمان، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله^(٢) وأن تكونَ التهاني به بين أهل^(٣) الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل^(٤) الغبراء.

أليس هو^(٥) البيتُ الذي ذكره الله [تعالى]^(٦) في كتابه، ونصَّ عليه في [محكم]^(٧) خطابه؟^(٨) فقال تعالى: " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " الآية^(٩).

أليس هو البيت^(١٠) الذي عَظَّمْتُهُ الْمَلَلُ^(١١)، وأثنتُ عليه الرُّسُلُ، وتليتُ فيه الكتب الأربعة المنزلة^(١٢) من إلهكم^(١٣)، عزَّ وجلَّ^(١٤)؟

أليس هو البيتُ الذي أمسكَ الله، عز وجل^(١٥) فيه^(١٦) الشمس^(١٧) على يوشع لأجله أن تغرب^(١٨)، وباعد بين خطواتها^(١٩) ليتيسر^(٢٠) فنحُّه ويقرب؟.

(١) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: الرسل.

(٢) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(٣) في عيون الروضتين ووفيات الأعيان، والإتحاف: لأهل.

(٤) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: لأهل.

(٥) سقطت الكلمتان (أليس هو) من الإتحاف (ط).

(٦) من الإتحاف.

(٧) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف.

(٨) ورد بعد "خطابه" في الإتحاف: ومنحك به منته وطوله.

(٩) الإسراء آية ١.

(١٠) ورد في الإتحاف (ط): وهو، بدلاً من "أليس هو البيت".

(١١) في الروضتين، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: الملوك.

(١٢) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، وشفاء القلوب.

(١٣) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان: الله.

(١٤) في الإتحاف (ط): تعالى.

(١٥) في وفيات الأعيان: تعالى.

سقطت العبارة "أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل، من الإتحاف (ط).

(١٦) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والاتحاف: لأجله.

(١٧) ورد في الاتحاف (ط) بعد لفظة الشمس: ردت على يوشع بن نوف بن يعرب، وفيه تصحيف.

(١٨) في الاتحاف (ط): (بن يعرب) بدلاً من "أن تغرب" وهو تصحيف.

(١٩) في الاتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠) و(ط): جوانبها.

(٢٠) في الاتحاف (ط): ليتبين.

أليس هو البيت الذي أمر الله [عزَّ وجلَّ]^(١) موسى أن يأمر قومه باستنفاذه^(٢)، فلم يُجبه إلا رجُلان، وغضبَ عليهم لأجله^(٣)، فألقاهم^(٤) في النية عقوبةً العصيان^(٥)؟.

فاحمدوا^(٦) الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد^(٧) عنه بنو إسرائيل، وقد فضَّلَهُم^(٨) على العالمين، ووفَّقَكُم لما خُذِلَ فيه من^(٩) كان قبلكم من الأمم الماضين^(١٠)، وجمعَ لأجله كلمتكم، وكانت^(١١) شئى، وأغناكم بما أمضتُهُ^(١٢) (كان) و(قد) عن^(١٣) (سوف)^(١٤) و(حتى)^(١٥).

-
- (١) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والاتحاف.
ورود بدلاً منها لفظة "تعالى" في مفرج الكروب، وشفاء القلوب.
(٢) في عيون الروضتين: باستيفاده، وفي الاتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠) و(ط): باستيطانه.
(٣) في مفرج الكروب: من أجله.
(٤) في مفرج الكروب، وألقاهم.
(٥) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: العصيان.
(٦) في الاتحاف (ط): فاحمد.
(٧) في وفيات الأعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف: نكلت.
(٨) في وفيات الأعيان، والاتحاف: فضلت.
في عيون الروضتين، والاتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): فضلوا.
(٩) في عيون الروضتين: أمم.
(١٠) في وفيات الأعيان: لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضيين.
في مفرج الكروب: لما خذل الماضية.
في شفاء القلوب: لما خذل عنه من كان قبلكم.
في الاتحاف (ط): خذل فيه أمما كانت قبلكم من الأمم الماضيين.
(١١) في عيون الروضتين: وكان.
(١٢) في الإتحاف (ط): امقبه (هكذا). يقول المحقق في الحاشية إنها غير واضحة.
(١٣) في الإتحاف (ط): عي (هكذا). يقول المحقق في الحاشية: لا معنى لهذه الكلمات.
(١٤) سقطت لفظة "سوف" من الإتحاف (ط).
(١٥) سقطت من شفاء القلوب. ووردت العبارة مضطربة، وقد وردت هكذا: "كان وعن وسوف وحتى".

فَلْيَهْنِكُمْ^(١) أَنْ اللَّهَ [تعالى] ^(٢) قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم ^(٣) جُنْدَهُ، وشكركم ^(٤) الملائكة المنزلون على ما أهديتهم إلى هذا ^(٥) البيت من طب التوحيد، ونشر التقديس والتمجيد ^(٦)، وما أمطتم عن طرُقهم فيه ^(٧) من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر ^(٨) الخبيث، فالآن ^(٩) يستغفر لكم ^(١٠) أملاك السموات، وتُصَلِّيَ عليكم الصلوات المباركات، فاحفظوا ^(١١)، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة ^(١٢) عندكم، بتقوى الله [تعالى] ^(١٣) التي ^(١٤) من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعزوتها ^(١٥) نجا وعصم ^(١٦)، واحذروا من اتباع

-
- (١) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠) و(ط): وليهنتكم.
(٢) من الإتحاف.
(٣) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠): جنود الأهوية. وفي الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): جنود الأهواء.
وفي الإتحاف (ط): "جنوداً لا يستهويه. وفيه تصحيف".
(٤) في وفيات الأعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: وشكر لكم.
في الإتحاف (ط): وشكرتكم.
(٥) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: لهذا.
(٦) في وفيات الأعيان: والتمجيد. وفي شفاء القلوب: والمجيد، والتحميد.
(٧) في شفاء القلوب: طريقه. وقد سقطت "فيه". وفي الإتحاف (ح- نسخة رقم ٤٠): طريقه.
(٨) في مفرج الكروب. وشفاء القلوب: الفاسد.
(٩) في مفرج الكروب: فهو الآن.
وفي شفاء القلوب، والإتحاف: والآن.
(١٠) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف: تستغفر.
(١١) في شفاء القلوب: واحفظوا.
(١٢) في شفاء القلوب: نعمة الله.
(١٣) من شفاء القلوب.
(١٤) في الإتحاف (ط): الذي.
(١٥) في شفاء القلوب: بعروقتها. وهو تصحيف.
في الإتحاف (ط): بعزوتها. وهو تصحيف.
(١٦) في الإتحاف (ط): واعتصم.

الهُوى، ومواقفه (١) الرّدى، ورجوع القهقرى، والنكول (٢) عن العدا، وخذوا (٣) في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من العُصّة (٤)، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وبيعوا عبادَ الله أنفسكم (٥) في رضاه إذ (٦) جعلكم من خير (٧) عباده، وإياكم (٨) أن يستزلكم (٩) الشيطان (١٠)، وأن يتداخلكم الطغيان (١١)، فيخيل لكم (١٢) أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم (١٣) الجياد، وبجلادكم (١٤) في موطن (١٥) الجلاد، والله (١٦) ما النصرُ إلّا من عند الله، إن الله عزيزٌ حكيم (١٧).

(١) في الروضتين وشفاء القلوب: وموافقة.

في مفرج الكروب: ومواقف.

(٢) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): والتولي.

في الإتحاف (ط): والتوالي العدى.

(٣) في الإتحاف (ط): وجدوا.

(٤) في الإتحاف (ط): والقصة. وهو تصحيف.

(٥) في مفرج الكروب، والإتحاف (خ- نسخة ٥٩٧): أنفسكم عبدالله.

(٦) في شفاء القلوب: الذي.

(٧) سقطت لفظة (خير) من شفاء القلوب.

(٨) في الروضتين: وإيا.

(٩) في الإتحاف (ط): يشترككم.

(١٠) في عيون الروضتين: أو.

(١١) في الإتحاف (ط): و(أن) يدخلكم الشيطان.

(١٢) في مفرج الكروب: إليكم.

(١٣) في وفيات الأعيان، والإتحاف (ط): وخيولكم.

(١٤) في الإتحاف (ط): وبجلادكم. وهو تصحيف.

(١٥) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: موضع

(١٦) في شفاء القلوب: سقطت لفظة (لا).

في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠)، و(ط): لا والله العظيم.

(١٧) في الإتحاف (ط): العزيز الحكيم.

واحذروا^(١) عبادَ الله، بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل، والمنح الجليل،
وخصكم^(٢) بهذا النصر^(٣) المبين، [وأعلق أيديكم بحبله المتين^(٤)، أن تقتربوا
كبيراً^(٥) من مناهيه^(٦)، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه، فتكونوا كالتي نقضت عزلها
من بعد قوة أنكاثاً، والذي^(٧) آتينا آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من
الغاوين. والجهادَ الجهادَ، فهو من^(٨) أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا^(٩)
الله ينصركم، [احفظوا الله يحفظكم]^(١٠) انكروا^(١١) الله يذكركم، اشكروا^(١٢) الله
يزدكم^(١٣) ويشرككم، جدوا في^(١٤) حسم الداء، وقطع^(١٥) شأفة الأعداء، وتطهير^(١٦)

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان: فاحذروا.

(٢) في شفاء القلوب: وحكم.

(٣) في عيون الروضتين: بنوره، ووفيات الأعيان، والإتحاف (ط): بنصره.

في مفرج الكرب، وشفاء القلوب: النصر.

(٤) هذه العبارة "وأعلق.. المتين": سقطت من الإتحاف (ط).

(٥) في عيون الروضتين، ومفرج الكرب، وشفاء القلوب، والإتحاف (ط): كثيراً.

(٦) في الإتحاف (ط): نواهيه.

(٧) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف (ط): وكالذي. وفي شفاء القلوب: أو كالذي.

(٨) سقطت من شفاء القلوب، والإتحاف (ط).

(٩) في شفاء القلوب: فانصروا. وفي الإتحاف (ط): انصروا. وهو تصحيف.

(١٠) من وفيات الأعيان.

(١١) في شفاء القلوب: واذكروا.

في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): واذكروه.

(١٢) في شفاء القلوب: واشكروا.

في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): واشكروه.

(١٣) سقطت من شفاء القلوب.

(١٤) في عيون الروضتين: إلى، وفي شفاء القلوب: فخذوا.

(١٥) في وفيات الأعيان، والإتحاف (ط): وقلع.

(١٦) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان وشفاء القلوب: وطهروا. وفي الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): وطهر.

بقية الأرض [من هذه الأنجاس^(١)] التي^(٢) أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع^(٣) الكفر، واجتثوا أصوله، فقد نادى^(٤) الأيام بالثارات^(٥) الإسلامية والملة المحمدية.

الله أكبر، فتح الله ونصر، غلب^(٦) الله وقهر، أذل^(٧) الله من كفر. واعلموا، رحمكم الله، أنّ هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها^(٨)، [وغنيمة فحوزوها] ومهمة^(٩) فأخرجوا لها^(١٠) هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها^(١١) [سرايا]^(١٢) عزماتكم^(١٣) وجهزوها، فالأمور بأواخرها^(١٤)، والمكاسب بذخائرها، فقد^(١٥) أظفركم^(١٦) الله [تعالى]^(١٧) بهذا العدو المخذول^(١٨)، وهم مثلكم أو يزيدون^(١٩)، فكيف^(٢٠) وقد

(١) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف (ط).

(٢) في عيون الروضتين: الذي.

(٣) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): فروع.

(٤) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): تارت.

(٥) في وفيات الأعيان: بالثارات.

(٦) في مفرج الكروب، والإتحاف (ط): وغلب.

(٧) في مفرج الكروب: وأذل، وفي الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠) و(ط): أخذل.

(٨) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان.

(٩) العبارة "فناجزوها.. ومهمة" سقطت من الإتحاف (ط).

(١٠) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: إليها.

(١١) في الإتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): النهار. وهو تصحيف.

(١٢) من وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف (ط).

(١٣) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧): عزمكم.

(١٤) في الإتحاف (ط): فالسعادة بأمايرها.

(١٥) في الإتحاف (ط): وقد.

(١٦) في الإتحاف (ط): ظفركم.

(١٧) من الإتحاف (ط).

(١٨) في الإتحاف (ط): بهؤلاء الأعداء المخذولين.

(١٩) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: دون.

(٢٠) في شفاء القلوب: وكيف.

أضحى في (١) قبالة الواحد منهم (٢) منكم عشرون، وقد قال تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (٣). أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار (٤) بزواجه، وأيدنا معشر (٥) المسلمين بنصر من عنده. إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده. (٦).

[إن (٧) أشرف مقال يقال في مقام، وأنفذ سهام تمزق (٨) عن قسي الكلام، وأمضى قول تحل (٩) به الأفهام، كلام (١٠) الواحد الفرد العزيز العلام (١١). قال الله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" (١٢). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأ أول سورة الحشر، ثم قال: أمركم وإيائي عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإيائي عما نهى

(١) في شفاء القلوب: وفي.

(٢) سقطت من شفاء القلوب، ومن الإتحاف (ط).

(٣) الأنفال آية ٦٥.

وورد في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٤٠)، و(ط): "وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين".

(٤) في الإتحاف (ط): والانتزجار.

(٥) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف (ط): معاشر.

(٦) آل عمران آية ١٦٠.

(٧) في الإتحاف (ط): إته.

(٨) في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧) و(ط): تمزق.

(٩) في عيون الروضتين: تحد، وفي الإتحاف (خ- نسخة رقم ٧٦) : تجلى. وفي (ط): تحلى.

(١٠) سقطت من الإتحاف (ط).

(١١) ورد في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧)، والإتحاف (ط) بعد (العلام): ثم استعاذ، وبسمل، وقرأ أول سورة

الحشر. ثم دعا للخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله تعالى، وللسلطان بدعوات صريحة. وختم بقول تعالى:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. ونزل، وصلّى في المحراب، وافتتح باسم الله بقراءة أم الكتاب...

(١٢) الأعراف آية رقم ٢٠٤.

الله عنه من قُبِح المعصية فلا تعصوه، وأستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين فاستغفروه[^(١)].

* * *

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة. وقال بعد الدعاء للخليفة^(٢): "اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك، المعترف بموهبتك^(٣)، سيفك القاطع وشهابك^(٤) اللامع والمحامي^(٥) عن دينك^(٦) المدافع^(٧)، والذاب^(٨) عن حرمك [وحرمة رسولك]^(٩) الممانع، السيد الأجل [والكهف الأظلم]^(١٠) الملك الناصر،^(١١) جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصليبان^(١٢) صلاح الدنيا والدين^(١٣)، سلطان الإسلام والمسلمين^(١٤)، مطهر البيت^(١٥) المقدس من أيدي المشركين مع^(١٦) أبي المظفر يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

-
- (١) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف (خ- نسخة رقم ٥٩٧). والإتحاف (ط).
- (٢) ورد في وفيات الأعيان: ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة، ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر. ثم قال
- وورد في شفاء القلوب: الخطبة الثانية: ذكر الحمد والشكر كما جرت العادة. ثم دعا للخليفة الناصر، ثم قال:
- (٣) سقطت العبارة من شفاء القلوب.
- (٤) في الإتحاف (ط): وسهمك.
- (٥) في شفاء القلوب والإتحاف (ط): المحامي.
- (٦) في الإتحاف (ط): ذنبك، وهو تصحيف.
- (٧) في الإتحاف (ط): الدافع.
- (٨) في الإتحاف (ط): الذاب.
- (٩) من مفرج الكرب، وشفاء القلوب.
- (١٠) من شفاء القلوب.
- (١١) سقطت اللفظتان من الإتحاف (ط).
- (١٢) ورد بعد لفظة الصليبان: والأوثان، في شفاء القلوب.
- (١٣) في الإتحاف (ط): الدين والدنيا.
- (١٤) سقطت لفظة "المسلمين" من الإتحاف (ط).
- (١٥) في الإتحاف (ط): بيت.
- (١٦) من شفاء القلوب، والإتحاف (ط).

اللهم عمّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك المُقرّبين^(١) براياته محيطة،
وأحسن عن الدّين الحنفيّ جزاءه، واشكر عن المِلة المُحمّدية عَزْمَةً ومضاهه^(٢). اللهم
أبق^(٣) للإسلام^(٤) [والمسلمين]^(٥) مهجته، ووقّ للإيمان^(٦) حوزته، وانشر في
المغرب والمشارك^(٧) دعوته.

اللهم فكما^(٨) فتحت على يده^(٩) البيت^(١٠) المقدس، بعد أن ظننت^(١١)
الظنون وابتلي المؤمنون، فافتح على يده^(١٢) أداني الأرض وأقاصيها^(١٣)،
وملّكهُ^(١٤) صياصي الكفرة^(١٥) ونواصيها^(١٦)، فلا تلقاه منه^(١٧) كتيبة^(١٨) إلا
مَرَّقها^(١٩)، ولا جماعة^(٢٠) إلا فرَّقها^(٢١) ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها^(١) بمن
سبقها.

في عيون الروضتين: من أيدي الكافرين.

- (١) من شفاء القلوب.
- (٢) في الإتحاف (ط)، حزيه وقضاه.
- (٣) في الإتحاف (ط): زين.
- (٤) من شفاء القلوب.
- (٥) في الإتحاف (ط): ووف.
- (٦) في عيون الروضتين: للأنام.
- (٧) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومفرج الكرب، وشفاء القلوب، والإتحاف (ط): المشارق والمغرب.
- (٨) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان: كما. في شفاء القلوب: وكما.
- (٩) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومفرج الكرب، والإتحاف: يديه.
- في شفاء القلوب: وردت العبارة هكذا: فتحت به.
- (١٠) في الإتحاف (ط): بيت.
- (١١) في مفرج الكرب، وشفاء القلوب: ورد بعد "ظننت": به.
- (١٢) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومفرج الكرب، وشفاء القلوب، والإتحاف: يديه.
- (١٣) في وفيات الأعيان ومفرج الكرب، وشفاء القلوب، والإتحاف: داني الأرض وقاصيها.
- (١٤) في شفاء القلوب: زاد "بفضلك وكرمك" بعد: "وملكه".
- (١٥) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف: الكفر.
- (١٦) وردت العبارة في الإتحاف (ط) هكذا: وملك صلبان الكفرة ونواقيسها.
- وردت العبارة في الإتحاف (خ- نسخة رقم ٧٦): وملكه صياصي الكفرة ونواصيها.
- (١٧) في شفاء القلوب: يلقي (بدلاً من: تلقاه منهم).
- في الإتحاف (ط): تلقى.
- (١٨) في الإتحاف (ط): كنيسة، وهو تصحيف.
- (١٩) في الإتحاف (ط): مزقتها.
- (٢٠) في الإتحاف (ط): جامعة. وهذا تصحيف. وهي في مخطوطة الإتحاف "جماعة". ورد في شفاء القلوب بعد
"جماعة": بعزتك.
- (٢١) في الإتحاف (ط): فرقتها. وهو تصحيف. وهي في مخطوطة الإتحاف: فرقها.

اللهم اشكر^(٢) عن محمد، صلى الله عليه وسلم، سعيه^(٣)، وأنفذ في
المشارك والمغارب [أمره ونهيه]^(٤) اللهم وأصلح به أوساط البلاد
وأطرافها، [وأرجاء الممالك وأكنافها]^(٥).

اللهم [ذلل به معاطس^(٦) الكفار، وأرغم به أنوف^(٧) الفجار، وأثثر ذائب^(٨)
ملكه^(٩) على الأمصار، [وابتث سرايا جنوده في سبل الأقطار]^(١٠).

اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه^(١١) إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبنية
أيوب^(١٢) الملوك^(١٣) الميامين، واشدد عضده ببقائهم^(١٤)، واقض بإعزاز أوليائه
وأوليائهم.

اللهم كما^(١٥) أجرئت على يده^(١٦) في الإسلام^(١٧) هذه الحسنه التي تبقى
على الأيام، وتتخذ على مر^(١٨) الشهور والأعوام، فارزقه^(١٩) الملك الأبدي الذي

(١) في الإتحاف (ط): ألحقته، وهي في مخطوطة الإتحاف: ألحقها.

(٢) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة "اشكر": له.

وورد في الإتحاف (ط) بعد لفظة "اشكر": عن سيدنا.

(٣) ورد في الإتحاف (ط) بعد "سعيه": ذا القدر والقدر.

(٤) سقط ما بين القوسين من الإتحاف (ط).

(٥) سقط ما بين القوسين من الإتحاف (ط).

(٦) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة "معاطس": أناف.

(٧) سقط ما بين القوسين من الإتحاف (ط).

(٨) في الإتحاف (ط): دابر.

(٩) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة "ملكة": برحمتك.

(١٠) سقط ما بين القوسين من الإتحاف (ط).

(١١) في الإتحاف (ط): عقبته. وهو تصحيف.

(١٢) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب: أبيه.

(١٣) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة "الملوك": الكرام.

(١٤) في الإتحاف (ط): سقطت ألفاظ عديدة. وورد فيه: "اللهم ثبت فيه وفي عقبته.. البأس، وشد عضده..."

(١٥) في مفرج الكروب: فكما. في شفاء القلوب: وكما.

(١٦) في شفاء القلوب: يديه.

(١٧) في شفاء القلوب: بمعونتك، بدلاً من "في الإسلام".

(١٨) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: مرور.

(١٩) في شفاء القلوب: وارزقه.

لا ينفدُ في دار المتقين (١). وأجب (٢) دعاءه في قوله: "رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكِرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (٣)" (٤).

(١) في وفيات الأعيان: اليقين.

(٢) ورد في مفرج الكروب، بعد لفظة "وأجب": دعوته (ودعائه).

(٣) النمل آية ١٩.

(٤) سقط ما بين القوسين من الإتحاف (ط).

ثبت المصادر والمراجع

- ١- إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي (نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية- رقم (٧٦)،
- ٢- إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى - المنسوب إلى محيي الدين بن عبدالظاهر، عبدالله بن عبدالظاهر الجذامي المصري - نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية- رقم (٤٠)،
- ٣- إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى - المنسوب إلى أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري - نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - رقم (٥٩٧)،
- ٤- إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي السيوطي - تحقيق د، أحمد رمضان أحمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٢،
- ٥- أحكام صنعة الكلام- أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي - تحقيق د، محمد رضوان الداية - دار الثقافة- بيروت - ١٩٦٦،
- ٦- أدب الحروب الصليبية - د، عبداللطيف حمزة - دار الفكر العربي - ط٢- ١٩٨٤،
- ٧- الأدب في العصر الأيوبي - د، محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - ١٩٦٨،
- ٨- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - تاريخ مدينة دمشق - ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم - عني بنشره وتحقيقه د، سامي الدهان- المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م،
- ٩- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - عمر رضا كحالة- مؤسسة الرسالة،
- ١٠- الأوس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مجير الدين العليمي، عبدالرحمن بن محمد عبدالرحمن بن محمد العليمي، المقدسي، الحنبلي - مكتبة المحتسب- عمان - ١٩٧٣م،
- ١١- إنشاءات القاضي الفاضل- دراسة وتحقيق وتعليق د، فتحية النبراوي- دار التوفيقية للطباعة بالأزهر- ط١- ١٩٨٠،

- ١٢ - البداية والنهاية - أبو الفداء الحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت،
- ١٣ - البرق الشامي - العماد الأصفهاني - تحقيق د، رمضان ششن، استانبول - ١٩٨٩،
- ١٤ - البرق الشامي - العماد الأصفهاني - تحقيق د، فالج صالح حسين - ط١ - عمان - ١٩٨٧،
- ١٥ - البرهان في وجوه البيان - أبو الحسين إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب - تقديم وتحقيق د، حفني شرف - مكتبة الشباب - القاهرة - ١٩٦٦،
- ١٦ - البيان والتبيين - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر - تحقيق عبدالسلام هارون - الطبعة الثانية - مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد - ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م،
- ١٧ - التاج المكلل من جواهر ما نشر الطراز الآخر والأول - القنوجي، أبو الطيب، صديق ابن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي - تصحيح وتعليق عبدالحكيم شرف الدين - دار اقرأ - ط٢ - بيروت - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م،
- ١٨ - تاريخ ابن الفرات - ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات - نشر د، حسن محمد الشماع - البصرة،
- ١٩ - تاريخ الخلفاء - الحافظ جلال الدين السيوطي - دار الفكر - بيروت،
- ٢٠ - تاريخ دمشق - قسم تراجم النساء - الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله، المعروف بابن عساكر - تحقيق د، سكيمة الشهابي - ط١ - دمشق - ١٩٨٢،
- ٢١ - تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر) - زين الدين عمر بن الوردي - تحقيق أحمد رفعت البدرائي - دار المعرفة - بيروت،
- ٢٢ - التاريخ المنصوري - تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان - أبو الفضائل محمد ابن علي بن نظيف الحموي - تحقيق د، أبو العبد دودو - مراجعة د، عدنان درويش - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م،
- ٢٣ - التكملة لوفيات النقلة - زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري - حققه وعلق عليه د، بشار عواد معروف - النجف الأشرف،
- ٢٤ - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية - د، أحمد بدوي، ط٢ - مطبعة نهضة مصر - القاهرة - ١٩٧٧،
- ٢٥ - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام - محمد سيد كيلاني - مكتبة مصر - ١٩٤٩،

- ٢٦- خريدة القصر وجريدة العصر - العماد الأصفهاني - قسم شعراء الشام تحقيق د،شكري فيصل - المطبعة الهاشمية بدمشق،
- ٢٧- خطط الشام - محمد كرد علي - دار العلم للملايين - بيروت،
- ٢٨- خطفة البارق وعطفة الشارق - العماد الأصفهاني (ضمن كتاب الروضتين) - دار الجليل- بيروت،
- ٢٩- الدارس في تاريخ المدارس - عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي- تحقيق جعفر الحسني- مطبعة الترقى بدمشق،
- ٣٠- ديوان ابن سناء الملك- تحقيق د، محمد عبدالحق- دار الجليل - بيروت - ١٩٧٥،
- ٣١- ديوان ابن سناء الملك - تحقيق د، محمد نصر- دار الكاتب العربي- القاهرة - ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩،
- ٣٢- ديوان أبي تمام - تحقيق د، محمد عبده عزام - ط٣- دار المعارف بمصر- ١٩٦٩،
- ٣٣- ديوان خطب ابن نباتة الفارقي،
- ٣٤- ديوان فتیان الشاغوري- تحقيق أحمد الجندي- المطبعة الهاشمية - دمشق ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٦م،
- ٣٥- الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة)- أبو شامة المقدسي- نشره عزت العطار الحسيني - دار الجليل- ط٢- بيروت- ١٩٧٤،
- ٣٦- رسائل عن الحرب والسلام - من ترسل القاضي الفاضل - اختيار موفق الدين بن الديباجي - تحقيق د، محمد نعش - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م،
- ٣٧- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين - أبو شامة المقدسي - دار الجليل- بيروت،
- ٣٨- زبدة الحلب في تاريخ الحلب- كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم - عني بنشره وتحقيقه د، سامي الدهان - المعهد الفرنسي بدمشق،
- ٣٩- السلوك لمعرفة دول الملوك - تقي الدين أحمد بن علي المقرئ - صححه محمد مصطفى زيادة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط٢- القاهرة- ١٩٥٦،
- ٤٠- سنا البرق الشامى- الفتح بن علي البنداري- تحقيق د، رمضان ششن- دار الكتاب الجديد- الطبعة الأولى- بيروت- ١٩٧١،

- ٤١- سنا البرق الشامي- الفتح بن علي البنداري - تحقيق د، فتحية النبراوي- مكتبة الخانجي- مصر ١٩٧٩،
- ٤٢- سير أعلام النبلاء- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق د، بشار عواد معروف، ود، محيي الدين هلال السرحان - مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ٢١،
- ٤٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- أبو الفلاح عبدالحى، ابن العماد الحنبلي - دار الآفاق الجديدة - بيروت،
- ٤٤- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب- أحمد بن إبراهيم الحنبلي (٨٧٦هـ) - تحقيق د، ناظم رشيد- وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية- ١٩٧٨،
- ٤٥- العبر في خبر من عبر - شمس الدين الذهبي - حققه أبو طاهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،
- ٤٦- عصر الدول والإمارات - مصر والشام- د، شوقي ضيف - دار المعارف بمصر - ١٩٨٤،
- ٤٧- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - الإمام محمد بن أحمد العيني- مخطوط متحف الأوقاف الإسلامي - استانبول- (رقم ٣٢٢٨)،
- ٤٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي- شرح وتحقيق د، نزار رضا- دار مكتبة الحياة- بيروت- ١٩٦٥،
- ٤٩- عيون التواريخ - محمد بن شاکر الكتبي- تحقيق د، فيصل السامر، ونبيلة عبدالمنعم داود- وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية،
- ٥٠- غوطة دمشق- محمد كرد علي - دار الفكر- ط٣- دمشق- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م،
- ٥١- الفيح القسي في الفتح القدسي - العماد الأصفهاني - تحقيق محمد محمود صبح - الدار القومية للطباعة والنشر،
- ٥٢- قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام) - شمس الدين بن طولون- تحقيق د، صلاح الدين المنجد- المجمع العلمي العربي- دمشق - ١٩٥٦،
- ٥٣- الكامل في التاريخ- عز الدين بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير- دار صادر دار بيروت- بيروت،

- ٥٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة - منشورات مكتبة المثنى ببغداد - بيروت،
- ٥٥ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير - تحقيق د، أحمد الحوفي، ود، بدوي طبانة - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى - القاهرة،
- ٥٦ - المختصر في أخبار بني البشر - أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت،
- ٥٧ - المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي (دورها في الحركة الفكرية) - د، عبدالجليل عبدالمهدي - مكتبة الأقصى - عمان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م،
- ٥٨ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان - اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبدالله بن أسعد - مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط٢ - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م،
- ٥٩ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قز أوغلي ابن عبدالله - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، (ج٨)،
- ٦٠ - مرآة الزمان - سبط بن الجوزي - ١٤ - خ)،
- ٦١ - مضمار الحقائق وسلا الخلائق - محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي - تحقيق د، حسن حبشي - القاهرة - ١٩٦٨،
- ٦٢ - معجم البلدان - ياقوت الحموي - دار صادر - بيروت - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م،
- ٦٣ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم - نشر د، جمال الدين الشيال - المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٩٥٧، (ج٢)،
- ٦٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي - مصورة طبعة دار الكتب المصرية،
- ٦٥ - نزهة الناظر وبهجة خاطر - شرف الدين موسى بن يوسف بن أحمد الأيوبي الأنصاري الدمشقي - دمشق - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م (رسالة ماجستير)،
- ٦٦ - نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية - د، عمر عبدالرحمن الساريسي - دار المنارة - جدة السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م،
- ٦٧ - نهاية الأرب في فنون الأدب - شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة (ج٨)،